البديع اللفظي عند السيوطي

(تأصيل للمصطلح ورؤية فى المضمون)

إعداد الدكتور

عبدالرحمن بن أحمد عبدالله المقري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما دائمين متلاحقين متلازمين على سيد البشر جميعا ؛ نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد.....

فإن أى أمة إذا أرادت أن تنهض من كبوتها، وتفيق من سكرتها، وتستيقظ من سباتها، وتقف على قدميها، لابد أن تعيش مع ماضى الأجداد بإحياء تراثهم، وعرض ما قدموه على بساط البحث العلمى، على أسس قوية، ودعامات وثيقة، وأى أمة أرادت الانسلاخ من تراثها ومن ماضيها، فكأنما اقتلعت جذورها، وفقدت هويتها.

والسيوطى ركن من أركان تراثنا المجيد، رزقه الله ذكاء فطريا، وحافظة قوية واعية، استطاع بمقدرة فائقة أن يجمع أشتات العلوم فى عصره والعصور السابقة عليه فى دقة ووعى وشمولية، خاصة إذا ما علمنا أنه تتلمذ لجلة شيوخ عصره وعلمائه وأعلامه.

لقد كثرت تآليف السيوطى، وتنوعت فنونها، وأصبحت ثمرات يانعات لجل الباحثين، يجد فيها كل باحث ضالته وأمله المنشود، وكأن الله رزق الإنسانية بهذا الإمام حتى تنهض من كبوتها، وتقال من عثرتها، بعد أن أدركها التصدع والوهن بسقوط بغداد وضياع مكتبتها العامرة.

وهذه الدراسة التى أقدمها عن البديع اللفظى عند السيوطى لهى خطوة أدعوا الله جل فى علاه أن يكون التوفيق حليفها، وأن تتبعها خطوات فى رحاب هذا العالم الفذ ؛ حتى أحقق ما تصبو إليه نفسى فى أن أكون واحداً ممن يشاركون فى إحياء تراث الإمام السيوطى وتاريخه – وما أكثرهم – وهو بذلك جد جدير.

والسيوطى البلاغى يكوِّن مع غيره اتجاها بيانيا أدبيا، يميل كثيرا فى درسه البلاغى إلى الدراسة الفنية التطبيقية البعيدة عن الدراسة الفلسفية التجريدية الجامدة.

وهذه الدراسة تهدف إلى المساهمة فى وضع السيوطى موضعه الذى يليق به بين علماء البلاغة ؛ سابقيهم ولاحقيهم، وبيان مقدار أصالته فى هذا الفن، إذ

هو من غير شك يمثل حلقة من سلسلة العلماء الذين اهتموا بدراسة البلاغة عموماً، والبلاغة القرآنية على وجه الخصوص، ومن المؤكد أنه قد تأثر وأثر فى لاحقيه.

واقتضت منهجية البحث أن يعرض من خلال تمهيد وتسعة عشر مبحثا، تسبقهما مقدمة وتتبعهما خاتمة، إضافة إلى ثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد : جاء بعنوان : " السيوطى ، حياته ومؤلفاته:

والدراسة البلاغية جاءت بعنوان : " فنون البديع اللفظى "، وجاءت فى تسعة عشر مبحثا، فقد خصصت لكل نوع من البديع اللفظى مبحثا، والأنواع هى :

الجناس، ورد العجز على الصدر، والتسبيغ، والتطريز، والتعديد، والتنسيق، والفرائد، والتنكيت، والسجع، والانسجام، والقلب، ولزوم ما لا يلزم، والتضييق، والتشريع، والتخيير، والائتلاف، والطاعة والعصيان، والحذف والمتحرى والمنتحل والمنتقى.

ثم الخاتمة وعرضت فيها بإيجاز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، وتبعها فهرس يكشف عن أهم المصادر والمراجع التى اعتمد بناء البحث عليها.

وعلىّ أن أوضح أننى عرضت فنون البديع اللفظى عند السيوطى من خلال تأصيل المصطلح بتتبعه تاريخيا، وإبراز كل الأسماء التى أطلقت عليه، مع بيان المضمون العلمى.

هذا ما أعاننى الله سبحانه وتعالى على إنجازه، فإن أصبت فلله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت ولم أقصر.

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

الباحث

(١) سورة الممتحنة : من الآية (٤).

تمهيد

السيوطى حياته ومؤلفاته

السيوطى حياته وثقافته

لقد ترجم السيوطى لنفسه مرتين ؛ الأولى فى كتابه " التحدث بنعمة الله "، والثانية فى كتابه " حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ٣٣٥/١ "، هذا بالإضافة إلى العديد من التراجم التى وضعها المؤرخون والكتاب، سواء أكانت فى كتب التراجم مثل : "الأعلام ٤٣/٤ "، و" هدية العارفين ٥٣٤/١ "، و"معجم المؤلفين ١٢٨/٥ " و" شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٥١/٨ " و"البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٣٢٨/١ " و" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦٥/٤ "، و" الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٢٦٦/١ "، أم فى كتب خاصة بترجمته، مثل ما قام به تلميذه عبد القادر بن محمد الشاذلى المصرى الذى خص ترجمته بكتاب سماه " بهجة العابدين بترجمة حافظ عصر جلال الدين ".

يضاف إلى ذلك أن عدداً كبيراً من الكتاب والباحثين فى العصر الحديث قد أولوا السيوطى جل اهتماماتهم، فمنهم من أفرد كتابا لترجمته، ومنهم من استهل بحثه بالترجمة له، وما أكثر البحوث التى كتبت عن علوم السيوطى، وكذا الندوات التى أقيمت إحياء لذكراه، وأفضل ما نطمئن إليه، ونحن عازمون على تقديم بطاقة تعريف له أن نعتمد على ما كتبه هو عن نفسه، فهذا أوثق وآمن، مراعين ما يناسب هذا من الإيجاز.

اسمه ونسبه :

هو " عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى"[1].

أما " الخضيرى " فيقول السيوطى عنها : " وأما نسبتنا بالخضيرى، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة ؛ إلاّ الخضيرية محلة ببغداد، وقد حدثنى من أثق

(١) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، السيوطى، ٣٣٥/١.

به، أنه سمع والدى رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق ؛ فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة "[١].

والأسيوطى : نسبة إلى مدينة أسيوط الواقعة غرب النيل من نواحى صعيد مصر، وهى من أكبر مدن الصعيد، وعرف – رحمه الله – بالسيوطى، وسوف أتركه ليوضح لنا ذلك.

تحدث السيوطى فى كتابه " التحدث بنعمة الله " عن هذا الأمر فقال : " كان الوالد يكتب فى نسبه " السيوطى "، وغيره يكتب " الأسيوطى " وينكر كتابه الوالد، ولا إنكار بل كلا الأمرين صحيح، والذى تحرر لى بعد مراجعة كتب اللغة ومعاجم البلدان، ومجاميع الحفاظ والأدباء وغيرهم أن فى " سيوط" خمس لغات : أسيوط " بضم الهمزة وفتحها "، وسيوط " بتثليث السين "، قال ابن السمعانى فى الأنساب : أسيوط بضم الألف وسكون السين المهملة وضم الياء المنقوطة بنقطتين من تحت، وفى آخرها طاء مهملة، بلدة بديار مصر فى الريف الأعلى بالصعيد، ومنهم من يقول سيوط بإسقاط الألف "[٢].

ولتأكيد ذلك عرض السيوطى أقوال كثير من أصحاب المراجع والمعاجم، فقال: " قال الصاغانى فى تكملة الصحاح : " سيوط " بالفتح قرية جليلة من صعيد مصر، ويقال : " أسيوط ".

وقال صاحب القاموس : " سيوط " أو " أسيوط " بضمهما بلد بصعيد مصر، قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان فى حرف السين : " سيوط " بفتح أوله، وآخره طاء، كورة جليلة من صعيد مصر.... وقال فى حرف الهمزة " أسيوط " بالفتح ثم سكون وياء مضمومة وواو ساكنة وطاء مهملة، مدينة فى غرب النيل من نواحى صعيد مصر جليلة كبيرة " [٣].

واستمر السيوطى فى عرض ما قيل عن " أسيوط " فقال: " قال على بن سعيد فى "المغرب " : مدينة " سيوط " من غرب النيل كثيرة الأهل، عامرة"[٤]،

---

(١) السابق، ٣٣٦/١.
(٢) التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ١٢.
(٣) التحدث بنعمة الله، السيوطي صـ١٢، ١٣.
(٤) السابق، صـ١٢.

وتأسيسا على ذلك فالنسب إلى " أسيوط " أو إلى " سيوط " صحيح، تبعا لورود الإسمين فى كتب التراجم والمعاجم.

ويتحدث السيوطى عن نسبه فيقول : " أما جدى الأعلى همام الدين ؛ فكان من أهل الحقيقة، ومن مشايخ الطريق، وسيأتى ذكره فى قسم الصوفية، ومَنْ دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة ؛ منهم من ولى الحكم ببلده، ومنهم من ولى الحسبة بها، ومنهم من كان تاجرا فى صحبة الأمير شيخون، وبنى مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافا، ومنهم من كان متمولا، ولا أعرف منهم من خدم العلم حق الخدمة إلا والدى وسيأتى ذكره فى قسم الفقهاء الشافعية "[١].

وتحدث السيوطى عن والده فقال : " كان مولد والدى بأسيوط... وربما سمعت بعض أهل البيت يذكر أنه حين مات كان عمره ثمانيا وأربعين سنة، فعلى هذا يكون مولده سنة ست أو سبع وثمانمائة، واشتغل بالعلم، وولى بها الحكم نيابة"[٢].

وذكر عن والده – أيضاً – أنه " قدم القاهرة سنة نيف وعشرين، فسمع صحيح مسلم على الحافظ ابن حجر فى سبع وعشرين... ولازم العلامة شمس الدين القياتى، فأخذ عنه الكثير فى الفقه، والأصول، والكلام، والنحو، والإعراب، والمعانى، والبيان، والمنطق، وأجازه بتدريس هذه الفنون كلها فى سنة تسع وعشرين "[٣].

وقال عنه أيضا إنه قد أخذ عنه جماعة من الفضلاء، وانتفعوا بعلمه، وكانت له تعاليق وفوائد ضاعت ولم أقف عليها، وظل يعطى ويفتى ويعلم حتى مرض بذات الجنب أياما يسيرة، وتوفى شهيداً وأنا عند رأسه، وقت أذان العشاء ليلة الاثنين من صفر سنة خمس وخمسين وثمانمائة " [٤].

مولده :

(١) حسن المحاضرة، السيوطى ٣٣٦/١.
(٢) التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ٧، ٨.
(٣) التحدث بنعمة الله، السيوطي صـ٨.
(٤) السابق، صـ٨، ٩.

ولد السيوطى بمدينة القاهرة كما ذكر هو، وجاء ذلك خلال حديثه عن مدينة أسيوط التى أفرد لها تاريخا، فقال : " مع أنى لم أرها إلى الآن، فإنى إنما ولدت بمدينة مصر ولم أسافر إليها البتة "[1]، وذكر تاريخ ميلاده بقوله : " كان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد، مستهل رجب، سنة تسع وأربعين وثمانمائة، فسمانى والدى يوم الأسبوع عبد الرحمن "[2].

والسيوطى معجب بهذا الاسم، ينم عن ذلك قوله : " وفى تسميتى بذلك عدة لطائف ؛ أحدها : أنه أحب الأسماء إلى الله تعالى....، والثانية : أنه موافق اسم أمير الملائكة إسرافيل....، والثالثة : أن فى ذلك موافقة لولد أبى بكر الصديق، وأظن الوالد قصد ذلك، فإن اسمه أبو بكر، فسمانى باسم عبد الرحمن بن أبى بكر... والرابعة : أن هذا الاسم يجرى مجرى اللقب ؛ لأن اللقب المحبوب ما أشعر بمدح أو رفعة، وكفى مدحا ورفعة الإضافة إلى الرحمن على وجه العبودية له... والخامسة : أن أول اسم سمى به آدم أول ولده... والسادسة : أن التسمية بذلك تفاؤلا أن المسمى به يصير من القوم الذين قال تعالى فيهم ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا

(١) السابق، صـ١٦.
(٢) السابق، صـ٣٢.

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[1].

لقبه وكنيته :

لقب السيوطى بـ " جلال الدين "، ولقب – أيضاً – بـ " ابن الكتب "، وذلك " لأن أباه كان من أهل العلم، واحتاج إلى مطالعة كتاب، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتى به، فأجاءها المخاض وهى بين الكتب، فوضعته "[2]، فلقب بذلك.

أما كنيته، فقد " كناه شيخه قاضى القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكنانى لما عرض عليه وقال له : ما كنيتك ؟ قال : لا كنية لى. فقال : أبو الفضل، وكتبه بخطه "[3].

نشأته واشتغاله بالعلم مبكرا :

تحدث السيوطى عن نشأته فقال : " حملت فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسى، فبرَّك على، ونشأت يتيماً[4]، وبعد وفاة والده " جعل الشيخ كمال الدين بن الهمام وصيا عليه، فلحظه بنظره ورعايته" [5].

وعلى الرغم من قصر المدة التى عاشها السيوطى فى كنف والده، إلا أنه كان شديد الحرص على أن يتجه ابنه نحو العلم وحلقاته فى سن مبكر، فنراه يحضره وهو لم يبلغ الخامسة من عمره أكبر مجلس علم فى زمانه، ذلك هو مجلس الحافظ ابن حجر فى الحديث [6].

---

(١) سورة الفرقان : الآيات (٦٣-٧٥)، وينظر/التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ٣٢-٣٥.
(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العيدروس، صـ٩٠.
(٣) السابق، والصفحة ذاتها.
(٤) حسن المحاضرة، السيوطى، ٣٣٦/١.
(٥) النور السافر، عبد القادر العيدروس، صـ٩١.
(٦) الكواكب السائرة، نجم الدين محمد الغزى ٢٢٧/١.

ويكشف السيوطى عن مدى اهتمامه وشغفه بالعلم مبكرا، فيقول : " حفظت القرآن ولى دون ثمانى سنين، ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارماحى الذى كان يقال إنه بلغ السن العالية، وجاوز المائة بكثير... قرأت عليه فى شرحه على المجموع، وأجزت بتدريس العربية فى مستهل سنة ست وستين "[(١)].

وتحدث السيوطى عن باكورة مؤلفاته سنة " ٨٦٦هـ" فقال : " فكان أول شئ ألفته شرح الاستعاذة والبسملة، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقينى، فكتب عليه تقريظا "[(٢)].

والسيوطى كان يعرف قدر نفسه، فيزكيها بقوله: " رزقت التبحر فى سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع ؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذى اعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى ؛ فضلا عمن هو دونهم"[(٣)].

وهو يعترف أنه لم يقل هذا تكبرا أو تفاخرا أو تعاليا، وإنما الباعث على ذلك: "تحدثا بنعمة الله لا فخرا ؛ وأى شئ فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر، ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها، وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها، ونقوضها، وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولى ولا بقوتى "[(٤)].

(١) حسن المحاضرة، السيوطى، ٣٣٦/١، ٣٣٧.
(٢) حسن المحاضرة ، السيوطي صـ٣٣٧.
(٣) السابق، ٣٣٨/١.
(٤) السابق، ٣٣٩/١.

والسيوطى صادق مع نفسه ؛ لأنه يعرف قدراته العلمية جيداً، لذا نراه يقول : " وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخى فيه أوسع نظرا، وأطول باعا ؛ ودون هذه السبعة فى المعرفة : أصول الفقه، والجدل، والتصريف، ودونها الإنشاء، والتوسل، والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب، وأما علم الحساب فهو أعسر شئ علىّ وأبعده عن ذهنى، وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله "(١).

وكان – رحمه الله – على قدر كبير من الذكاء وسرعة البديهة وقوة الذاكرة، حتى أنه قد " أخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتى ألف حديث "(٢)، إضافة إلى أنه " كان فى سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى من آيات الله تعالى، قال تلميذه الشمس الداوودى : عاينت الشيخ، وقد كتب فى يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريرا، وكان مع ذلك يملى الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة "(٣).

والسيوطى لم يصل إلى هذه المنزلة العلمية مصادفة بل كانت ثمار جهد ودراسة وسفر، فقد درس على كثير من علماء مصر والشام والحجاز، وفى هذا يقول : " وأجاز لى خلق من الديار المصرية والحجاز وحلب، وقد جمعت معجماً فى أسماء من سمعت عليه أو أجازنى أو أنشدنى شعرا، فبلغوا نحو ستمائة نفس " (٤).

ولا يستغرب هذا العدد الكبير ممن تتلمذ عليهم السيوطى، خاصة إذا ما عرفنا كثرة أسفاره ورحلاته فى طلب العلم، يقول عن ذلك : " سافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، ولما حججت شربت من ماء زمزم، لأمور ؛ منها أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر " (٥)

(١) حسن المحاضرة، السيوطي ٣٣٨/١، ٣٣٩.
(٢) الكواكب السائرة، نجم الدين محمد الغزاوى ٢٢٩/١.
(٣) السابق، ٢٢٨/١، ٢٢٩.
(٤) التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ٤٣.
(٥) حسن المحاضرة، السيوطى، ٣٣٨/١.

وقد ذكر ابن العماد أن السيوطى : " لما بلغ أربعين سنة أخذ فى التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاشتغال به صرفا، والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع فى تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك فى مؤلف سماه " التنفيس "، وأقام فى روضة المقياس، فلم يتحول منها إلى أن مات "[1]

وفاته :

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل، توفى الشيخ الإمام جلال الدين السيوطى، فى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة، فى منزله بروضة المقياس، بعد أن تعرض سبعة أيام بورم شديد فى ذراعه الأيسر، ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة[2]. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عن العلم وأهله وطلبته خير الجزاء.

(١) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ابن العماد، ٧٩/١٠.
(٢) السابق، ٧٩/١٠.

مصنفات السيوطى قيمتها وعددها

حظى السيوطى بشهرة واسعة ليس فى مصر وحدها، بل فى العالم الإسلامى كله، فلا تخلو مكتبة فى أنحائه من مؤلف أو أكثر لصاحبنا، فقد كان – رحمه الله – واسع العلم متنوع المعارف، كثير التآليف، أعانه على ذلك انقطاعه للعلم، وإخلاصه له، ونهمه فى تحصيله، بجانب قدراته الخاصة فى التلقى وفى التأليف وفى الاستنباط.

يضاف إلى ذلك وجوده فى عهد أطلق المؤرخون عليه " دولة المماليك الجراكسة " "٧٨٤-٩٢٣هـ"، عاش السيوطى فى ظلال هذه الفترة، وقضى فيها اثنتين وخمسين سنة من حياته فى عهد سلاطين قل الصراع على عهدهم، وخاصة السلطان الملك الأشرف قايتباى الذى دام حكمه حوالى ثلاثين عاما "٧٨٢-٩٠١هـ"، واستطاع أن ينشر الأمن خلال سنوات طويلة من حكمه، وأن يرد عن بلاده الهجمات الخارجية [١]

هذا بجانب استكثار السلاطين والأمراء المماليك من بناء المدارس والزوايا، وإنشاء المكتبات العامة والخاصة التى حوت نفائس المصادر فى مختلف العلوم، فتردد عليها العلماء والطلاب، وأفادوا منها فى دراستهم ومؤلفاتهم [٢].

وكان من الثمرات الطيبات لذلك العصر ظهور شخصية موسوعية مثل السيوطى، بمؤلفاته الكثيرة والمتنوعة، ولقد أشاد كثير من العلماء والكتاب والمؤرخين قديما وحديثا بعلم السيوطى وبمؤلفاته.

فقد وصفه ابن إياس بأنه " كان عالما فاضلا بارعا فى الحديث الشريف، وغير ذلك من العلوم، وكان كثير الاطلاع، نادرة فى عصره، بقية السلف، وعمدة الخلف "[٣].

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور، محمد بن إياس ٤٠٣/٣.
(٢) مقامات السيوطى، تحقيق د. سمير محمود الدروبى، مقدمة المحقق، ٢٦/١-٢٧.
(٣) بدائع الزهور، ابن إياس، ٨٣/٤.

وعرض ابن العماد رأى الداوودى فى تآليف أستاذه السيوطى، فذكر أن " مؤلفاته الحافلة، الكثيرة، الكاملة، الجامعة، النافعة، المتقنة، المحررة، المعتمدة، المعتبرة ففاقت عدتها على خمسمائة مؤلف، وشهرتها تغنى عن ذكرها، وقد اشتهر أكثر مصنفاته فى حياته فى أقطار الأرض شرقاً وغرباً"(١).

وقال عنه نجم الدين الغزى " وقد اشتهر أكثر مصنفاته فى حياته فى البلاد الحجازية والشامية والحلبية، وبلاد الروم والمغرب، والتكرور والهند واليمن، وكان فى سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى من آيات الله "(٢).

وقال الكتانى عنه : " إن هذا الرجل كان نادرة من نوادر الإسلام فى القرون الأخيرة حفظا واطلاعاً ومشاركة وكثرة تآليف "(٣)، وقال عن مؤلفاته : " إن له التآليف الممتعة فى جل الفنون "(٤)، وقال عنها –أيضا– " إن مؤلفاته بالنسبة لمعاصريه وشيوخه حصلت على إقبال عظيم عند الأمة الإسلامية، لم يحصل عليها غيره، ولا تكاد تجد خزانة فى الدنيا عربية أو أعجمية تخلو عن العدد العديد منها "(٥).

وأورد الكتانى رأى الشيخ على القارى الذى جاء فى كتابه " المرآة فى شرح المشكاة " يقول فيه : إن " شيخ شيوخنا السيوطى هو الذى أحيا علم التفسير فى الدر المنثور، وجمع جميع الأحاديث المتفرقة فى جامعه المشهور، وما ترك فنا إلا فيه له متن أو شرح مسطور، بل وله زيادات ومخترعات يستحق أن يكون هو المجدد فى القرن العاشر "(٦).

ولم يكن الإعجاب بمؤلفات السيوطى مقصوراً على من أتوا بعده، بل تحقق لها ذلك فى حياته، وقد أورد بعضا منها أثناء ترجمته لنفسه، بعد أن عدد تآليفه

(١) شذرات الذهب، ابن العماد، ٧٦/١.
(٢) الكواكب السائرة، الغزى ٢٢٨/١.
(٣) فهرس الفهارس، والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،محمد الكتانى، صـ١٠١٠
(٤) السابق، صـ١٠١٤.
(٥) فهرس الفهارس، الكتانى صـ١٠١٨.
(٦) السابق، صـ١٠١٩.

فى كتابه " التحدث بنعمة الله، وذلك تحت عنوان، " ذكر بعض ما كتب على مؤلفاتى تقريظا، أو قيل فيها مدحا "[١].

فذكر السيوطى أن شيخ الإسلام قاضى القضاة علم الدين البلقينى، قد كتب على مؤلفيه " شرح الاستعاذة والبسملة " و " شرح الحيعلة والحوقلة " تقريظا، باعتبارهما أول ما ألف سنة خمس وستين وثمانمائة، قال فيه : " الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وقفت على هذين التصنيفين اللطيفين المباركين المشتملين على الفوائد الكثيرة والفرائد الغزيرة، فوجدتهما مشتملين على أشياء حسنة وألفاظ مستحسنة، فحق أن ينوه بفضل مصنفهما، ويذكر ما حواه من الفضائل وما حرره من المسائل، شكر الله سعيه على ذلك، وسلك بنا وإياه أحسن المسالك "[٢].

وذكر –أيضا– أن شاعر العصر شمس الدين القارى كتب له تقريظا على كتابه المسمى " بالشمعة "، جاء فيه : " وقفت على هذه الشمعة التى يستضيئ بها عند فقد الجلاس كل جليس، ويراها الفريد عند استيحاشه من الذاكرة نعم الأنيس، ولقد فاق فى الآفاق ضياؤها كل قبس، وكيف لا تكون كذلك ونورها من ذُكاء قبس الذَّكاء مقتبس، ولقد حلت إذ حلت قالب الحسن، فلا ترى فيها أمتا ولا عوجا، ولم لا تحلو ولم يزل الشهد من الشمعة مستخرجا... مازال بها وجه القبول مدى الأيام مبتهجا، وجواد الذكاء ومصباح الإفادة مسرجا"[٣].

وكتب له نحوىّ مكة قاضى القضاة محيى الدين المالكى تقريظا على مؤلفه " شرح الألفية لابن مالك "، ما نصه : " وقفت على هذا المؤلف والروض المفوف، فألفيته غرة فى جبهة الشروح، ومركزا عليه يدور التبيين والوضوح، أدى به مؤلفه من شرح هذا النظم الحق المفترض، وغاص بحار شروحه فاستخرج منها الجوهر وترك ما سواه من العرض، فلو رآه الغمام ابن مالك لقال

(١) التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ١٣٧.
(٢) التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ١٣٧.
(٣) التحدث بنعمة الله، السيوطى ، ١٣٧، ١٣٨.

: هذا أوضح المسالك، أو الحبر أبو حيان : هذا وارتشاف الضرب سيان،أو ابن المصنف لقال : هذه ضالتى التى أنشدها وأتطلب من لها يعرف... " [١].

عدد مؤلفاته :

لقد تباينت آراء المؤرخين والكتاب والباحثين حول العدد الحقيقى أو ما يقرب منه لمصنفات السيوطى، والذى يهمنا أولا تنوع تلك المؤلفات، فشملت كثيرا من مختلف فنون العلم، مثل : فن التفسير وتعلقاته والقراءات، فن الحديث وتعلقاته، فن الفقه وتعلقاته، وأجزاء مفردة فى مسائل مخصوصة، فن العربية وتعلقاته، فن التاريخ والأدب، وذكر السيوطى تحت كل فن منها ما ألفه "[٢].

وقد قسم السيوطى مؤلفاته حسب أهميتها، فجعلها سبعة أقسام وفى هذا يقول :

القسم الأول : ما أدعى فيه التفرد، ومعناه أنه لم يؤلف له نظير فى الدنيا فيما علمت، وليس ذلك لعجز المتقدمين عنه، معاذ الله، ولكن لم يتفق أنهم تصدوا لمثله، وأما أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ؛ لما يحتاج إليه من سعة النظر، وكثرة الاطلاع، وملازمة التعب والجد، والذى هو بهذه الصفة من كتبى ثمانية عشر مؤلفا"[٣]

القسم الثانى : ما ألف ما يناظره، ويمكن العلامة أن يأتى بمثله، وذلك ما تم أو كتب منه قطعة صالحة من الكتب المعتبرة التى تبلغ مجلداً وفوقه ودونه، وذلك خمسون مصنفا [٤].

القسم الثالث : ما تم من الكتب المعتبرة الصغيرة الحجم التى هى من كراسين إلى عشرة وذلك سبعون مؤلفا [٥].

القسم الرابع : ما كان كراساً ونحوه سوى مسائل الفتوى، وذلك مائة مؤلف، ولكنه عدّ مائة واثنين [١].

---

(١) السابق، صـ١٣٩، ١٤٠.
(٢) حسن المحاضرة، السيوطى ١/٣٣٩-٣٤٤.
(٣) التحدث بنعمة الله، السيوطى، صـ١٠٥-١٠٦.
(٤) السابق، صـ١٠٦-١١١.
(٥) السابق، صـ١١١-١١٥.

القسم الخامس : ما ألف فى واقعات الفتاوى من كراس وفوقه ودونه، وذلك الآن ثمانون مؤلفا[٢].

القسم السادس : مؤلفات لا أعتد بها، لأنها على طريق البطالين الذين ليس لهم اعتناء إلا بالرواية المحصنة، ألفتها فى زمن السماع وطلب الإجازات، مع أنها مشتملة على فوائد بالنسبة إلى ما يكتبه الغير، وذكر منها أربعين مؤلفا[٣].

القسم السابع : ما شرعت فيه، وفتر العزم عنه، وكتب منه القليل، وعدّ منه ثلاثة وثمانون مؤلفا [٤] .

أما عدد مؤلفاته فقد تضاربت أقوال المؤرخين والكتاب حولها، فقد قال ابن إياس : إنه " قد بلغت مصنفاته نحوا من ستمائة تأليف "[٥]، وإلى مثل هذا العدد ذهب عبد القادر العيدروس حين قال أثناء حديثه عن السيوطى : " وقد وصلت مصنفاته نحو الستمائة مصنف، سوى ما رجع عنه وغسله " [٦].

وذكر الكتانى صاحب فهرس الفهارس رواية مؤداها، أنه ورد " فى مشيخة البدر القرافى لدى ترجمة شيخه أبى عبد الله بن أبى الصفا شهاب الدين أحمد البكرى : أنه قرأ على شيخه الحافظ السيوطى فهرس أسماء مؤلفاته، قال وهى ستمائة مؤلف "[٧].

وفى الكواكب السائرة ذكر الشيخ نجم الدين محمد الغزى أن مؤلفات السيوطى قد "ينفت على الخمسمائة مؤلف "[٨]، وإلى مثل هذا العدد ذهب ابن

---

(١) السابق، صـ١١٥-١٢١.
(٢) السابق، صـ١٢١-١٢٦.
(٣) السابق، صـ١٢٦-١٢٩.
(٤) السابق، صـ١٢٩-١٣٦.
(٥) بدائع الزهور، ابن إياس ٨٣/٤.
(٦) النور السافر، عبد القادر العيدروس، صـ٩١.
(٧) فهرس الفهارس، الكتانى، صـ١٠٢٠.
(٨) الكواكب السائرة، الغزى، ٢٢٨/١.

العماد فى شذرات الذهب، حين قال وهو يتحدث عن السيوطى ومؤلفاته : " فنافت عدتها على الخمسمائة "[١].

وحكى الكتانى رواية يقول فيها : " وقد ظفرت فى مصر بكراسة من تأليف السيوطى عدد فيها تآليفه إلى سنة "٩٠٤هـ"، قبل موته بسبع سنين، أوصل فيها عدد مؤلفاته إلى " ٥٣٨ " [٢].

أما السيوطى نفسه فقد أشار إلى أعداد مؤلفاته فى كتابه حسن المحاضرة، فقال : " وشرعت فى التصنيف سنة ست وستين " وثمانمائة "، وبلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلاثمائة كتاب، سوى ما غسلته ورجعت عنه "[٣].

واستطاعت " أليزابث مارى سارتين " محققة كتاب " التحدث بنعمة الله " أن تحصى مؤلفات السيوطى الواردة فى الكتاب كله، وتفهرسها أبجديا، بمجهود تشكر عليه،وأوصلتها إلى " ٥٣٠ " مؤلفا [٤].

ويمكن اختزال ما ذكرته من إحصاء بذكر الحرف الذى بدئ به الكتاب، وعدد الكتب، وذلك أفضل من ذكر قوائم بمؤلفات السيوطى التى تعوَّد الباحثون نقلها من مظانها، بصورة مكرورة لا تغيير فيها ولا تجديد، ومن يكتشف المزيد منها فعليه وضعه فى ترتيبه الأبجدى فى التصنيف الذى جاء كالتالى :

حرف (أ) ٣٥كتابا، حرف (ب) ١٢ كتابا، حرف (ت) ٥٩ كتابا، حرف (ث) كتابان، حرف (ج) ٣٣ كتابا، حرف (ح)٢٣ كتابا، حرف (خ) ستة كتب، حرف (د) ٢٠ كتابا، حرف (ذ) ثلاثة كتب، حرف (ر) ٢٤ كتابا، حرف (ز) تسعة كتب، حرف (س) تسعة كتب، حرف (ش) ٥٤ كتابا، حرف (ص) كتابان، حرف (ض) ثلاثة كتب، حرف (ط) ١٤ كتابا، حرف (ظ) كتابان، حرف (ع) تسعة كتب، حرف (غ) ثلاثة كتب، حرف (ف) ٢١ كتابا، حرف (ق) ١٧ كتابا، حرف (ك) ١٥ كتابا، حرف (ل) ١٤ كتابا، حرف (م) ٨٨

(١) شذرات الذهب، ابن العماد، ٧٦/١٠.
(٢) فهرس الفهارس، الكتانى صـ١٠٢٠.
(٣) حسن المحاضرة، السيوطى ٣٣٨/١.
(٤) التحدث بنعمة الله، السيوطى، فهرس التحقيق، صـ٣٣٦-٢٥٧.

كتابا، حرف (ن) ٢١ كتابا، حرف (هـ) أربعة كتب، حرف (و) ثمانية كتب، حرف (ى) كتابان.

وهناك اجتهادات كثيرة بين الباحثين والكتاب حول حياة السيوطى وعلمه ومؤلفاته، تزخر بها المكتبات ما بين رسائل جامعية، وكتب مطبوعة، وبحوث منشورة فى عدة مجلات، مثل مجلة التراث العربى، وعالم الكتب، ومجمع اللغة العربية بدمشق، إضافة إلى العديد من البحوث التى ألقيت فى الندوات التى أقيمت إحياء لذكراه.

فنون البديع اللفظى

المبحث الأول

الجناس

الجناس بكسر الجيم فن بديعى، سمى بهذا الاسم لمجئ حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة، وليس من الضرورى تماثل جميع حروفه، بل يكفى فيها ما تتحقق به المجانسة. " ويسمى المجانسة والتجنيس والتجانس، وهو مصدر جانس[١] الدال على المشابهة والمشاكلة.

ولقد عرفه البلاغيون بتعريفات مختلفة الألفاظ متفقة المعنى، عرفه ابن المعتز بقوله : " هو أن تجئ الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها فى تأليف حروفها "[٢]. ولم تخرج تعريفات قدامة[٣]. أو أبو هلال العسكرى[٤]، أو ابن الأثير [٥]، أو ابن سنان الخفاجى[٦]، أو بدر الدين بن مالك[٧]، أو السيوطى[٨]، أو غيرهم عما قاله ابن المعتز، وجميعها تدور فى فلك واحد.

ولقد تحدث " السيوطى " عن فائدة الجناس ومنزلته فقال : " ولم أر من ذكر فائدته، وخطر لى أنها الميل إلى الإصغاء، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ؛ ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوق إليه "[٩].

---

(١) ينظر : شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٤.
(٢) كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، صـ٢٥.
(٣) ينظر : نقد الشعر، قدامة بن جعفر، صـ١٦٤.
(٤) ينظر : الصناعتين، أبو هلال العسكرى، صـ٣٠٨.
(٥) ينظر : المثل السائر، ابن الأثير، ج"١" صـ٢٦٢.
(٦) ينظر : سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى، صـ١٩٣.
(٧) ينظر : المصباح، بدر الدين بن مالك، صـ٨٤.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٤.
(٩) شرح عقود الجمان، السيوطي الصفحة ذاتها.

وأشار إلى علو منزلته بقوله : " وكفى بالتجنيس فخرا مراعاة النبى ﷺ حيث قال : " غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله"[١]،... وقد صرح الأندلسى بأن الجناس أشرف الأنواع اللفظية "[٢].

وقد سبقه بهذا الإعجاب يحيى بن حمزة العلوى، حين قال عن الجناس : " هو عظيم الموقع فى البلاغة، جليل القدر فى الفصاحة، ولولا ذلك ما أنزل الله كتابه المجيد على هذا الأسلوب، ولا اختاره له كغيره من سائر أساليب الفصاحة، وهو من ألطف مجارى الكلام، ومن محاسن مداخله، وهو من الكلام كالغرة فى الفرس "[٣].

وفى الحقيقة " لا ندرى معنى لاحتجاج العلوى بأسلوب القرآن على قيمة الجناس ؛ فالجناس أقل أنواع الحلى وروداً فى القرآن الكريم... فإن كان يعنى بذلك : البديع جملة بما فيه الجناس، فلا معنى لأن يفرد الجناس بهذه المزية من بين إخوته "[٤].

وأكثر البلاغيين مدحا للجناس صلاح الدين الصفدى، فقد ألف كتابه " جنان الجناس " ولقد قال فى مقدمته كلاماً يدل على إيثاره لهذا اللون البديعى عن غيره من ألوان البديع وتعصبه له، وكذلك السيوطى فقد ألف فيه كتابه " جنى الجناس " ولم يقصر ابن الأثير فى مدحه، فقال : " اعلم أن التجنيس غرة شادخة وجه الكلام "[٥].

وقد عاب الجناس بعض البلاغيين أمثال ابن الوردى، وابن حجة الحموى، الذى سفه رأى الصفدى فى استحسانه فقال : " وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستحسن ورمه ويظنه شحما، فيشبع أفكاره، ويملأ بطون دفاتره، ويأتى فيه بتراكيب تخف عندها جلاميد الصخور " [٦].

---

(١) صحيح البخاري : ١٢٩٣/٣.
(٢) السابق، صـ٣٩٤، ٣٩٥.
(٣) الطراز، يحيى بن حمزة العلوى، ٣٥٥/٢.
(٤) فن الجناس، د. على الجارم، صـ١٨.
(٥) المثل السائر، ابن الأثير ٢٦٢/١.
(٦) ينظر : خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٢٥.

ويقف " السيوطى " بين هذا وذاك، فيقول : " ثم نبهت من زيادتى على أن الجناس نوع متوسط فى البديع، ليس كالتورية والاستخدام والطباق ونحوها، واتفقوا على أنه إنما يحسن إذا قل، فإن كثر سمج وخرج إلى حد النزول "[١].

ويرى ابن حجة الحموى أن الجناس يمكن إضفاء الحسن عليه فى مطالع القصائد إذا تضمن تورية[٢]، وتبعه فى ذلك السيوطى حين قال : " فإن جعل الجناس تورية وانحصر المعنيان فى ركن واحد، فقد علت رتبته وارتفعت، وصار يسمى بالتورية التامة "[٣] .

أنواع الجناس :

الواقع أن الجناس من أكثر فنون البديع التى تصرف فيها العلماء من أرباب هذه الصناعة، فقد جعلوه أنواعا أو أقساما، وفرعوا من هذه الأنواع أو الأقسام فروعا، حتى أن حصر هذه التنويعات، والتفريعات أصبحت من الأمور العسيرة على الباحث، وتحتاج منه إلى كثير من الصبر والتأنى، فعلى بركة الله نبدأ تلك الرحلة الشاقة مع أنواع الجناس عند " السيوطى " الذى استهلها بقوله : "الجناس أنواعه كثيرة "[٤]، وهى:

أولاً : الجناس التام :

عرف السيوطى الجناس التام : " بأن يتفقا – اللفظان – فى أعداد الحروف وأنواعها وترتيبها وهيئاتها "[٥]،وهذا التعريف موافق لما جاء به القزوينى[٦]،والجناس التام أنواع :

النوع الأول : الجناس المتماثل

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٢) ينظر : خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٢٩.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٣٩٥.
(٥) السابق : صـ٣٩٥.
(٦) بغية الإيضاح، القزوينى ٦٩/٤.

الجناس المتماثل : حده عند السيوطى " أن تكون الكلمتان من نوع واحد كاسمين، أو فعلين أو حرفين "[١]، وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعا وأسماها رتبة.

وفى إطار التمثيل جاء بقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[٢]، ثم أورد رأيا مفاده : " قيل : ولم يقع منه فى القرآن غير هذه الآية "[٣].

ولكنه عاد وقال : " واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعا آخر ؛ وهو: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٤].

ثم أورد الخلاف الذى دار بين العلماء حول الآية الأولى فقال : " وأنكر بعضهم كون الآية الأولى من الجناس، وقال : الساعة فى الموضعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا، بل يكونان حقيقتين، وزمان القيامة وإن طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة، فإطلاق الساعة على القيامة مجاز، وعلى الآخر حقيقة ؛ وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس، كما لو قلت : لقيت حماراً وركبت حماراً، تعنى بليداً "[٥]، هكذا عرض الرأيين فى الآية ولم يرجح.

ولقد عرض " السيوطى " نماذج للجناس التام من الأحاديث الشريفة ؛ منها : " قوله ﷺ للصحابة حين نازعوا جريرا : " دعوا جريرا والجرير "، أى : زمامه. " وقال معلقا على هذا الحديث : " قلت : لم أقف على هذا الحديث "[٦]، ثم استعرض عدداً من الأحاديث التى توثق منها، فقال : " ولكنى وجدت قوله ﷺ " من تعلم صرف الكلام ليسحر به قلوب الناس، لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٥.
(٢) سورة الروم : من الآية (٥٥).
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٥.
(٤) سورة النور : من الآيتان " ٤٣، ٤٤"، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٥.
(٥) الاتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٢٧١/٣، معترك الأقران ٣٠٣/١.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطي صـ٣٩٥.

"[1]، رواه أبو داود. الصرف الأول : صرف الكلام كما فسره أبو عبيدة، والثانى : النافلة أو التوبة "[2].

ثم استعرض محفوظه من الحديث ، فأورد أحاديث أخر منها : " قوله – ﷺ– " من أمر بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف "[3]، وقوله : " أول من يدخل النار سلطان لم يعدل فى سلطنته "[4]، رواهما الديلمى "[5].

كما أتى بنموذج شعرى، وهو " قول ابن الرومى :

للسود في السود آثار تركن بها وقعا من البيض تثنى أعين البيض[6]

وهذا البيت يعد من ملح ابن الرومى، والسود الأولى : الليالى، والأخرى : شعرات الرأس واللحية. والبيض الأولى : الشيبات،والأخرى : النساء الحسان.

والملاحظ أن النماذج التى أتى بها السيوطى – رغم تنوعها – قد اقتصرت على مجئ ركنى التجنيس المتماثل اسمين، ولم يأت – رحمه الله – بنماذج تغطى مفردات التعريف حين جعل التجنيس فيه يتحقق إذا كان ركناه اسمين أو فعلين أو حرفين، وقد ذكر السبكى أن وجوده بين الفعلين كثير[7] أما بين الحرفين، فقد قال الصفدى أن هذا القسم لا يمكن تصوره[8].

النوع الثانى : الجناس المستوفى :

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب ما جاء فى الشعر " ٤٣٥٩ ".
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٥.
(٣) أخرجه الديلمى فى الفردوس " ٥٨٣٣ ".
(٤) أخرجه الديلمى فى الفردوس " ٣٢ ".
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٥.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى، الصفحة ذاتها.
(٧) عروس الأفراح، بهاء الدين السبكى ٢/٢٨٤.
(٨) جنان الجناس، الصفدى، صـ٢١.

الجناس المستوفى : عرفه السيوطى بقوله : بأن كانا – ركناه – من نوعين كاسم وفعل أو حرف ؛ كحديث الصحيحين : " إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فىّ امرأتك "[١] . فالجناس هنا مستوفٍ بين الاسم والحرف، وهما " فى " الأولى حرف جر، و" فى " الثانية : الفم.

ومن نماذجه الشعرية قول الشاعر :

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن لأمر قضاه في الناس من يد

وكذلك قول أبى تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله[٢]

فاللفظان المتجانسان مختلفان فى المعنى، وجاء أحدهما اسما والآخر فعلا، وقد أشار السبكى إلى أن ما عدا الجناس بين الاسم والفعل يعد نادراً[٣].

النوع الثالث : جناس التركيب

جناس التركيب : هو ثالث أنواع الجناس التام عند السيوطى، قال فى تعريفه " هو التام الذى أحد لفظيه مركب. وهو قسمان " [٤] :

(١) ملفوف: وعرفه السيوطى بقوله : وهو ما تركب أحد المتجانسين من كلمتين تامتين أو ثلاث كلمات، ثم ذكر أنه نوعان :[٥]

(أ) ملفوف متشابه: ويكون كذلك " بأن يتفقا – المتجانسان – فى الخط "، ومثل له السيوطى بعدة أمثلة ؛ منها قول البستى :

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٣٩٦، أخرجه البخارى فى الإيمان، باب ما جاء فى أن الأعمال بالنية والحسبة "٥٦"، ومسلم فى الوصية، باب الوصية بالثلث " ١٦٢٨".
(٢) السابق صـ٣٩٦.
(٣) عروس الأفراح، بهاء الدين السبكى ٢/٢٨٢.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٣٩٦.
(٥) السابق : الصفحة ذاتها.

وقول الآخر :

عـــضنا الـــدهر بنابـــه ليـــت مـــا حـــل بنـــا بـــه (١)

(ب) ملفوف مفروق : وهو أن يختلف المتجانسان فى الخط، ومثل له السيوطى بأمثلة منها قول البستى :

كلكـــم قـــد أخـــذ الجـــا م ولا جـــــــام لنـــــــا

مـــا الـــذي ضـــر مـــدير الـــ ـــــــجام لـــــــو جاملنـــــــا

وقوله أيضاً :

وإن أقـــــر علـــــى رق أنا ملـــــه أقـــر بـــالرق كتـــاب الأنـــام لـــه (٢)

(٢) مرفو : وعرفه السيوطى بأنه : ما تركب أحد اللفظين المتجانسين من كلمة وبعض أخرى، وذكر أنه نوعان، ومثل للمرفو عامة بعدة نماذج، ولم يفرق خلالها بين المرفو المتشابه والمرفو المفروق (٣).

فمثال المرفو المتشابه : قول السيوطى :

وكلمـــا ملـــت نحـــو حـــب لا بـــد لى فيـــه مـــن رقيـــب

ولـــيس ينـــأى فـــوا عنـــائى ولـــيس ينفـــك قـــد رقيـــب (٤)

فالجناس هنا مركب ؛ لأن أحد ركنيه مركب، والآخر مفرد، ومرفو ؛ لأن الركن المركب مؤلف من كلمة وبعض كلمة، ومتشابه، لتشابه الركنين فى الخط، " رقيب – رقيب "، ومثال المرفو المفروق قول الحريرى :

والمكـــر مهمـــا اســـتطعت لا تـــأتـــه لتقتنـــــى الـــــسؤدد والمكرمـــــه (١)

---

(١) السابق : الصفحة ذاتها.
(٢) السابق : صـ٣٩٧.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٣٩٧.
(٤) السابق : صـ٣٩٧.

فالجناس هنا مركب ؛ لأن أحد ركنيه مركب، والآخر مفرد، ومرفو ؛ لأن الركن المركب مؤلف من كلمة، وبعض كلمة، ومفروق لتخالف الركنين فى الخط، " المكر مه –المكرمة ".

النوع الرابع : الجناس التام الملفق

الجناس التام الملفق : ذكر السيوطى أنه من زيادته، وعرفه بقوله : " وهو ما تركب ركناه "، وأشار إلى أن هذا النوع المركب السابق، ووافقه فى هذا الرأى كل من الحاتمى، وابن رشيق، وأصحاب البديعيات، وذكر أن غالب المؤلفين لم يفرقوا بينهما[٢]. مع أن الفرق بينهما واضح، فباشتراك التركيب فى الركنين يتميز من المركب السابق، فإنه ما ركب إلا أحد ركنيه فقط.

وذكر السيوطى أن هذا النوع من الجناس ينبغى أن يجعل فى نوعين :

(١) الموافق : وهو ما توافق ركناه خطا، كقول البستى :

فلم تضع الأعادى قدر شانى ولا قالوا فلا ناقدر شانى

(٢) المفارق : وهو ما تخالف ركناه خطا، مثل قول الشاعر :

وكم بجباه الراغبين إليه من مجال سجود في مجالس جود

وكذلك قول البستى :

إلى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أراق دمى

وفى هذا اللون من الجناس يقول ابن حجة الحموى :" وهو صعب المسلك، عزيز الوقوع، ولكن له رونق وموقع فى الذوق ؛ لطلاوة تركيبه وغرابة أسلوبه "[٣].

وللبلغاء أقوال تكشف عن منزلة الجناس التام فى نفوسهم، وتبين مبلغ شأنه فى البلاغة وسر جماله وحسنه، فيقول عبد القاهر عند حديثه على مزية

(١) السابق : صـ٣٩٧.
(٢) السابق، صـ٣٩٨.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٣٣.

الجناس المطبوع : " فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة من حلى الشعر ومذكوراً فى أقسام البديع " [١].

ويقول ابن حجة الحموى عنه، مع كراهته للجناس بصفة عامة : " هو أكمل الأنواع إبداعا، وأسماها رتبة وأولها فى الترتيب "[٢].

ثانياً : الجناس غير التام

وهذا الجناس : هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الأمور الأربعة التى يجب توافرها فى الجناس التام، وهى : هيئة الحروف الحاصلة من الحركات والسكنات، وعددها، نوعها وترتيبها، فهذه الأربعة إذا ما أضيف إليها الجناس التام، فإن السيوطى يقول عنها : " فهذه الخمسة أنواع أصول الجناس، وتحت كل نوع منها أقسام"[٣]، وهذا ما ستكشف عنه الدراسة.

النوع الأول : ما وقع الاختلاف فيه فى هيئات الحروف

اللفظان المتجانسان إن اختلفا فى هيئة الحروف الحاصلة من الحركات والسكنات والنقط فإن الجناس يأتى فيه على ضربين : مصحف ومحرف.

(١) الجناس المصحف :

وهو ما اتفق فيه ركنا الجناس أى لفظاه فى عدد الحروف وترتيبها، " واختلفت الحروف فى النطق "[٤]، وذكر السيوطى أن بعض البلاغيين " يسميه جناس الخط "[٥]. أمثال شهاب الدين الحلبى[٦]، وهناك من العلماء من يسمونه المرسوم[٧]، وآخرون يطلقون عليه المضارعة والمشاكلة[٨]. والمسمى واحد فى هذه الأسماء.

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى صـ٥.
(٢) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٣٧.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٣.
(٤) السابق صـ٣٩٨.
(٥) السابق، الصفحة نفسها.
(٦) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٤٥، الطراز، يحيى العلوى ٣٦٥/٢.
(٧) الطراز، العلوى ٣٦٦/٢.
(٨) حدائق السحر، رشيد الدين محمد العمرى صـ١٠٢.

وأورد السيوطى له نماذج من القرآن الكريم والحديث الشريف[١]، من القرآن العظيم قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[٢]، ومن الحديث ما رواه الطبراتى : " إذا ظهر الزنا والربا فى قرية أذن الله تعالى فى هلاكها "[٣]، وحديث الصحيحين : " يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا "[٤] وقول على ﷺ : " قصر ثوبك فإنه أتقى، وأنقى، وأبقى "[٥].

هذا، وجناس التصحيف أقل طبقات المجانس عند ابن سنان الخفاجى ؛ " لأنه مبنى على تجانس أشكال الحروف فى الخط، وحسن الكلام وقبحه لا يستفاد من أشكال حروفه فى الكتابة ؛ إذ لا علقة بين صيغة اللفظ فى الحروف وشكله فى الخط "[٦].

(٢) الجناس المحرف :

هذا اللون من الجناس يسمى –أيضاً– جناس التحريف [٧]، وسماه الرازى والسكاكى والوطواط الجناس الناقص[٨] وسماه القزوينى والحموى الجناس المحرف[٩]، وتحت هذا الاسم عرضه السيوطى، وعرفه بأنه ما " وقع الاختلاف فيه فى الحركات "[١٠]، وذكر له عدة صور بقوله : " ويكون فى نوع أو نوعين، وتارة يجتمع التحريف والتصحيف، وتارة يقع الاختلاف فى الحركة فقط، أو

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٨.
(٢) الشعراء : الآيتان (٧٩، ٨٠).
(٣) أخرجه البخارى فى العلم، باب ما كان النبى ﷺ يتخولهم بالموعظة "٦٩".
(٤) أخرجه مسلم فى الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير " ١٧٣٢ ".
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٨، والقول ليس لعلي رضي الله عنه، بل هو حديث لرسول الله لعلي كما في مسند أحمد ٣٦٤/٥.
(٦) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى صـ١٩٩.
(٧) البديع فى نقد الشعر، أسامة بن منقذ صـ٢٠، تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع صـ١٠٦.
(٨) نهاية الإيجاز، الرازى صـ٢٨، مفتاح العلوم، السكاكى صـ٢٣٧، حدائق السحر، الوطواط صـ٩٥.
(٩) الإيضاح، القزوينى صـ٣٨٤، خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٣٦.
(١٠) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٩٩.

السكون فقط، أو فيهما، ومنه أيضاً مفرد ومركب، والمركب ملفوف ومرفو وكل منهما مفروق ومشتبه "[١].

وفى إطار رؤية تطبيقية شاملة، عرض السيوطى مجموعة من النماذج لبعض هذا الكم الهائل من صور الجناس المحرف، منها " قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢] وقوله ﷺ : " ما حسّن الله خلق رجل ولا خلقه فتطعمه النار "[٣] رواه الطبرانى. وقوله " إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف "[٤] رواه الحاكم، وقوله : " الدين شين للدين"[٥]، رواه الديلمى، وقوله : " جُبَّة البرد جُنَّة البرد "[٦]

وكذلك قول ابن بناتة :

قوامك تحت شعرك يا أمامة غدا لك حاملا علم الإمامة

وغير ذلك من النماذج[٧].

النوع الثانى : ما وقع الاختلاف فيه فى عدد الحروف

" الجناس الناقص "

وسمى هذا النوع ناقصاً وذلك لنقصان أحد اللفظين المتجانسين عن الآخر، وذهب الجرجانى والبغدادى والقزوينى إلى تسميته ناقصا[١]، وإلى مثل

(١) السابق، الصفحة نفسها.
(٢) الكهف : من الآية (١٠٤).
(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط " ٦٧٨٠ ".
(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك " ٧٧٥ ".
(٥) أخرجه الديلمى فى الفردوس " ٣٠٩٩ ".
(٦) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبى ٣٣٦/١٠.
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٩.

هذا ذهب السيوطى وعرفه بقوله : " أن يختلفا اللفظان – المتجانسان – فى عدد الحروف "[٢]، وقسمه إلى قسمين :

أولهما : " أن يقع الاختلاف بحرف واحد ؛ إما فى الأول، أو الوسط أو الطرف "[٣] :

(١) إذا كان حرف الزيادة فى الأول سماه السيوطى " مردوفا لأن حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس كقوله تعالى:﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾[٤]، وحديث الشيخين : " الإيمان يمان "[٥]، وحديث الطبرانى : " ترك الوصية عار فى الدنيا ونار وشنار فى الآخرة " [٦].

(٢) إذا كان حرف الزيادة فى الوسط قال السيوطى : " سميته أنا بالمكتنف، لأن حرف الزيادة فيه مكتنف أو متوسط بين ما اكتنفاه، كقولهم : " جدى جهدى "، وحديث أحمد : " الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة "[٧]، وحديث مسلم : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء "[٨]، وحديث الديلمى : " ما بعث الله نبيا إلا وقد أمه بعض أمته "[٩].

(٣) إذا كان حرف الزيادة فى الوسط سمى بالمطرف، وذكر السيوطى أن السبب فى هذه التسمية " أن الزيادة وقعت فيه فى الطرف، كحديث أحمد : " من آوى ضالة فهو ضال "[١٠]، وقول الشاعر :

وسألتها بإشارة عن حالها وعلى فيها للوشاة عيون

---

(١) ينظر : الوساطة بين المتنبى وخصومه، الجرجانى، صـ٤٣، قانون البلاغة، البغدادى صـ٤٣٨ الإيضاح، القزوينى صـ٣٨٥.

(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٣٩٩.

(٣) السابق صـ٤٠٠.

(٤) القيامة : الآيتان (٢٩، ٣٠).

(٥) أخرجه البخارى فى بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم " ٣٣٠٢ "، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٠.

(٦) المعجم الأوسط، الطبرى ج"٥" صـ٣١٩.

(٧) أخرجه أحمد فى مسند الأنصار" ٢١٥٢٤ ".

(٨) أخرجه البخارى فى الطب " ٥٦٧٨ ".

(٩) أخرجه الديلمى فى الفردوس "٦٢٥٦"، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٠.

(١٠) مسند أحمد، الشيبانى ٢٩٠/٢٨.

فتنفست صعداً وقالت ما الهوى إلا الهوان أزيل منه النون[1]

وقد سمى الخطيب القزوينى هذا النوع " المطرف "، لتطرف الزيادة فيه[2]، وهو عند الصفدى أحسن الأنواع الثلاثة[3] ؛ لوقوع الزيادة فيه فى الأول.

ثانيهما : " أن يقع الاختلاف بأكثر من حرف "[4]، وهو مثل سابقه يكون فى الأول، أو فى الوسط، أو فى الطرف.

(١) أن تقع الزيادة فى الأول، فيسمى عند البعض " متوجاً "، وفى كنز البراعة " ترجيعا " لأن الكلمة رجعت بذاتها [5].

وأتى السيوطى له بعدة نماذج، منها قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ ﴾[6]، وقوله ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[7]، وحديث الشيخين : " فى الحبة السوداء الشفاء من كل داء "[8]، وكذلك قول البستى :

أبا لعباس لا تحسب بأنى بشئ من حلى الأشعار عارى

فلى طبع كسلسال معين زلال من ذرى الأحجار جارى[9]

(٢) أو أن تقع الزيادة فى الوسط، وينبغى أن يسمى " الزائد "[10]، ولم يذكر له مثالاً، وقد مُثِّل له بما يأتى : سكنى المدر مصادر الضرر، بناء المساجد مجد خالد، الشكر عَرف العوارف[1].

---

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٠، ٤٠١.
(٢) بغية الإيضاح، القزوينى ج"٤" صـ٧٣.
(٣) جنان الجناس، الصفدى صـ٢٧.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠١.
(٥) السابق صـ٤٠١.
(٦) العاديات : من الآية (١١).
(٧) البقرة : من الآية (٦٢).
(٨) أخرجه البخارى فى الطب، باب الحبة السوداء " ٥٦٨٧ ".
(٩) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠١.
(١٠) السابق، الصفحة ذاتها.

(٣) أو أن تقع الزيادة فى الطرف، وسماه الصفدى " المتمم "[٢]، وسماه السيوطى "المذيل "[٣]،لأن تلك الزيادة فى آخره كالذيل، وأتى له بعدة نماذج، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ﴾[٤]. وحديث الديلمى :" هل لك فى الغذاء يا هلال "[٥]، وكذلك قول الخنساء :

إن البكـــــاء هـــــو الـــــشفا ء مـــن الجـــوى بـــين الجـــوانح[٦]

وليس المراد بالزيادة هنا أن الحرف زائداً على الحروف الأصلية " ف. ع. ل "، بل أنه لا مقابل له من المجانس، بحيث إذا سقط الحرف الزائد كان الباقى مساويا للفظ الآخر، ولذلك فإن هذا النوع من الجناس الذى أطلق عليه اسم "الناقص "، قد سماه الوطواط " الزائد "[٧]، وسماه الحلبى " الزائد الناقص"[٨].

(١) فن الجناس، على الجندى صـ٩٧.
(٢) جنان الجناس، الصفدى، صـ٢٨.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤٠١.
(٤) طه : من الآية (٩٧).
(٥) أخرجه الديلمى فى الفردوس " ٥٣٢٤ ".
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠١.
(٧) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى " الوطواط " صـ١٦.
(٨) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٤٣.

النوع الثالث : ما وقع الاختلاف فيه فى أنواع الحروف

" جناس التصريف "

وهو أن يجتمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتحدة فى المخرج والمتقاربة فيه، أو يكون بين حرفين متباينين فى المخرج.

وذكر السيوطى أنه " يشترط أن لا يكون بأكثر من حرف واحد، وألا يبعد التشابه ويفقد التجانس، وهو قسمان [١] :

الأول : " ما يكون التجانس بحرف مقارب فى المخرج.... ويسمى المضارع"[٢]، وعند البعض يسمى المطرف[٣]، أو المطمع[٤].

وأشار السيوطى إلى هذا الاسم بقوله : " وسمى قوم هذا النوع :"المطمع"، لأنه لما ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التى قبلها طمع فى أنه يجانسها بمثلها جناسا مماثلاً [٥]، وذكر أن الحرفين اللذين وقع بينهما الاتحاد فى المخرج قد يقعان إما فى الأول، أو فى الوسط، أو فى الآخر [٦]، وأورد السيوطى لكل منها نماذج.

(١) من نماذج وقوعهما الأول : " بينى وبين كنّى، ليل دامس، وطريق طامس"[٧]، فالدال فى " دامس "، والطاء فى " طامس " من الحروف الشديدة، وهما متحدان فى المخرج؛ لأنهما من اللسان مع أصل الأسنان.

ومن نماذجه أيضا حديث ابن السنى وغيره " ما أضيف شئ إلى شئ أفضل من علم إلى حلم "[٨]، وحديث الطبرانى : " زد غبا تزدد حبا "[٩].

---

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠١.
(٢) السابق صـ٤٠٢.
(٣) نهاية الإيجاز، فخر الدين الرازى صـ٢٩، مفتاح العلوم، السكاكى صـ٢٢٧.
(٤) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٤٥.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤٠٢.
(٦) السابق صـ٤٠٣.
(٧) من قول الحريرى، ينظر : شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٢.
(٨) في المعجم الأوسط ١٢٥/٥ "والذى نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم".
(٩) أخرجه الطبرانى فى الكبير " ٣٥٣٥ "، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٢.

(٢) ومن نماذج وقوعهما فى الوسط " قوله تعالى :﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾[١]. وحديث " تعوذوا بالله من طمع يهدى إلى طبع "[٢]، فالهاء والهمزة فى الآية متحدان فى المخرج، لأنهما حلقيان، وكذلك الميم والباء فى الحديث متحدان فى المخرج.

(٣) ومن نماذج وقوعهما فى الآخر : " حديث الصحيحين : الخيل معقود فى نواصيها الخير "[٣]، فاللام والراء من الحروف الزلاقة، ومخرجها من الحنك واللسان.

والجناس المضارع اعتبره البعض نوعا قائما بذاته، ولكن السيوطى أدخله فى تجنيس التصريف، وسمى بالمضارع لمضارعة المخالف من الحرفين لصاحبه فى المخرج ؛ أى يشبهه، وهذه التسمية من وضع قدامة بن جعفر[٤].

الثانى : وهو ما أبدل من أحد ركنى الجناس من غير مخرجه، أى يكون الحرفان اللذان وقع بينهما الاختلاف متباينين فى المخرج ويسميه السيوطى الجناس اللاحق وذكر أن الحرفين اللذين وقع بهما الاختلاف قد يقعان فى الأول، أو فى الوسط، أو فى الآخر[٥]، وأورد لكل منها نماذج.

(١) من نماذج وقوعهما فى الأول : قوله تعالى﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[٦]، فالهاء واللام متباعدان فى المخرج ؛ لأن الهاء من أقصى الحلق، واللام من طرف اللسان. ومنها –أيضاً– حديث الترمذى : " أسفروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر "[٧]، وحديث الطبرانى : " التجار هم الفجار "[٨]، وحديثه : " الحمد لله الذى حسن خلقى، وزان منى ما شان من غيرى "[٩].

(١) الأنعام : من الآية (٢٦).
(٢) أخرجه أحمد فى مسند الأنصار " ٢١٥١٦ "، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٢.
(٣) أخرجه البخارى فى الجهاد والسير " ٢٨٥٠ "، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٢.
(٤) سر الفصاحة، قدامة بن جعفر صـ١٨٧.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٢.
(٦) الهمزة : آية (١).
(٧) أخرجه الترمذى فى الصلاة، باب ما جاء فى الإسفار بالفجر " ١٥٤ ".
(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير " ٧١١ ".
(٩) أخرجه الطبرانى فى الكبير " ١٠٧٦٦ "، شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤٠٢.

(٢) ومن نماذج وقوعهما فى الوسط ما أتى به السيوطى من قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[١]، فالهاء والدال متباعدان؛ إذ الأول من الحلق، والثانى من اللسان مع أصول الأسنان.

كما أتى بنموذج آخر من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[٢]، وهو فى هذا النموذج يوافق الخطيب القزوينى[٣]، مع أن الحقيقة أن هذه الآية نموذجا للجناس المضارع لتقارب مخرج الفاء والميم ؛ لأن مخرجهما من الشفة.

وأتى السيوطى بنموذج من الحديث الشريف وهو قولهﷺ : " لولا رجال ركع، وصبيان رضع، وبهائم رتع "[٤]، فالكاف والضاد والتاء متباعدة فى مخارجها، متغايرة فى صفاتها.

(٣) ومن نماذج وقوعهما فى الآخر : ما أتى به السيوطى من قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾[٥]، والسيوطى فى هذا موافق لما ذكره الخطيب القزوينى[٦]، وفخر الدين الرازى[٧]، وشهاب الدين الحلبى[٨]، على أن هذه الآية من الجناس اللاحق، والحقيقة أنها من الجناس المضارع ؛ لأن الراء والنون من حروف الزلاقة، ومخرجها من طرف اللسان.

---

(١) العاديات : الآيتان (٧، ٨).
(٢) غافر : الآية (٧٥).
(٣) التلخيص، الخطيب القزوينى صـ٣٩٠.
(٤) المعجم الكبير ٣٠٩/٢٢ وفيه " لولا عباد الله ركع، وصبية رضع وبهائم رتع "، شرح عقود الجمان صـ٤٠٢.
(٥) النساء : من الآية (٨٣).
(٦) التلخيص، الخطيب القزوينى صـ٣٩٠.
(٧) نهاية الإيجاز، فخر الدين الرازى صـ٢٩.
(٨) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٤٦.

ومن نماذجه عند السيوطى – أيضاً – " حديث الطبرانى : " لن تفنى أمتى حتى يظهر فيهم التباين والتمايل "[١]، وحديث الديلمى : " أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه فى طاعة الله ونصح لأمة محمد "[٢] .

من ملحقات الجناس : **الجناس اللفظى** :

هذا النوع من الجناس يلحق بالجناس المصحف " الخط "، قال عنه ابن حجة الحموى : " أما اللفظى فهو النوع الذي إذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف أحدهما الآخر بإبدال حرف منه فيه مناسبة لفظية، كما يكتب بالضاد والظاء"[٣].

وعرض له السيوطى وقال : " وبقى قسم آخر نبهت عليه من زيادتى،وهو أن يكون المبدل مناسبا للآخر مناسبة لفظية، ويسمى اللفظى، كالذى يكتب بالضاد والظاء، مثل قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٤].

ويتصل به ما يكتب " بالتاء والهاء، نحو : جبلت القلوب على معاداة المعاداه. أو بالنون والتنوين كقول الأرجانى :

وبيض الهند من جدى هواز بإحدى البيض من عليا هوازن

أو النون والألف، كقول ابن العفيف التلمسانى :

أحسن خلق الله وجها وفما إن لم يكن أحق بالحسن فمن[٥]

وهذا اللون من الجناس نادر جدا، ولم يتعرض له من أصحاب البديعيات إلاّ الصفدى، وذكر أنه لا يكون إلاّ فى الضاد والظاء[١].

(١) لم نجد هذا الحديث عند الطبرانى، وقد رواه الحاكم فى المستدرك ٥٦٩/٤.
(٢) الفردوس للديلمى ٣٦٦/١.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٢٩.
(٤) القيامة : الآيتان (٢٢، ٢٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٣.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٣.

النوع الرابع : ما وقع الاختلاف فيه فى ترتيب الحروف " جناس القلب "[٢].

جناس القلب : هو أن يتفق ركنا الجناس فى نوع الحروف وعددها وهيئتها، ويختلفان فى الترتيب فقط، ويسمى – الجناس المقلوب[٣]، والجناس المعكوس[٤]، وجناس العكس[٥] ذكره السيوطى وعرفه بأنه " ما وقع الاختلاف فيه فى ترتيب الحروف " [٦] وذكر أنه يأتى فى قسمين :

(١) قلب كل : وهو ما كان " الاختلاف " فى كل الحروف[٧] بأن يقع الحرف الأخير من الكلمة الأولى أولاً من الكلمة الثانية، والذى قبله ثانيا، هكذا.

ومثل له السيوطى بالمثال الذى أتى به القزوينى فى الإيضاح، وهو : حسامه فتح لأوليائه، حتف لأعدائه [٨].

(٢) قلب بعض : وهو أن يكون التقديم والتأخير فى بعض حروف الكلمة دون بعض.

وأتى السيوطى له بعدة نماذج، منها قوله تعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٩]، وحديث الصحيحين : " اللهم استر عوراتنا، وآمن

(١) جنان الجناس، الصفدى صـ٣١.
(٢) الإيضاح، الخطيب القزوينى صـ٣٨٨.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٣٩.
(٤) الطراز، يحيى العلوى ٣٦٨/٢.
(٥) البديع فى نقد الشعر، أسامة بن منقذ صـ٣٠.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٣.
(٧) السابق صـ٤٠٣.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤٠٣.
(٩) طه : من الآية (٩٤).

روعاتنا "[١]، وحديثهما :" إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان، لعنتها الملائكة "[٢] وحديث : " يقال لصاحب القرآن يوم القيامة : اقرأ وارق [٣]، وحديث الديلمى :" ما ذهب بصر عبد فصبر إلا دخل الجنة"[٤].

النوع الخامس : تجنيس الإطلاق

(شبه جناس الاشتقاق)

هذا النوع ذكره السيوطى تحت هذا العنوان، وألحقه القزوينى بالجناس، وهو شبه جناس الاشتقاق، وقال عنه أن يجمع اللفظين المشابهة[٥]، ويسمى كذلك الجناس المطلق[٦]،والجناس المغاير[٧].

وقد عرضه السيوطى وجعله نوعاً من أنواع الجناس حين قال : " النوع السادس : تجانس الإطلاق، وجعله " القزوينى " فى " التلخيص " والذى بعده ملحقا بالجناس، ويسمى – أيضاً– المشابهة والمقاربة والمغايرة وإبهام الاشتقاق، وهو أن يجتمع اللفظان فى المشابهة فقط "[٨].

واستعرض السيوطى عدداً من نماذج هذا النوع من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف منها قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾[٩]، ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[١٠]، ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[١]، ﴿ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى

(١) لم نعثر على هذا الحديث فى الصحيحين، وقد روى فى مسند أحمد ٣/٣.
(٢) أخرجه البخارى فى بدء الخلق، باب ذكر الملائكة " ٣٢٣٧ ".
(٣) أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن " ٢٩١٤ ".
(٤) الفردوس، الديلمى ١٦٦/٣، شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٣.
(٥) الإيضاح، القزوينى صـ٢٩٣.
(٦) الوساطة بين المتنبى وخصومه، الآمدى صـ٤٠.
(٧) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ١٩٥.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٣.
(٩) الشعراء : الآية (١٦٨).
(١٠) الرحمن : من الآية (٥٤).

يُوَٰرِى سَوۡءَةَ أَخِيهِ ﴾[٢]، وحديث أحمد :" ما من حاكم يحكم بين الناس إلا حشر يوم القيامة وملك آخذ بقفاه، حتى يقف به على جهنم " [٣]، وحديث " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن أفتاك المفتون "[٤]، على رواية فتح الميم وضم النون مفرداً من الفتنة "[٥].

فجناس الإطلاق – إذن – أن يتفق اللفظان اللذان يمثلان ركنى الجناس فى جل الحروف أو كلها، على وجه يتبادر منه أنهما يرجعان إلى أصل واحد فى الاشتقاق، وليسا فى الحقيقة كذلك.

ففى قوله تعالى﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾[٦]، فإنه يتبادر إلى الذهن من كون الأول وهو " قال " فعلا، ومن كون الثانى وهو " القلى " وصفا أنهما من أصل واحد، وليس كذلك، لأن الأول مشتق من القول، والثانى من القلى، وهو البغض والترك، فبينهما شبه اشتقاق.

(١) يونس : من الآية (١٠٧).
(٢) المائدة : من الآية (٣١).
(٣) أخرجه أحمد فى مسند المكثرين من الصحابة " ٤٠٨٦ ".
(٤) أخرجه الترمذى فى صفة القيامة والرقاق والورع " ٢٥١٨ ".
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٤.
(٦) الشعراء : الآية (١٦٨).

النوع السادس : جناس الاشتقاق

جناس الاشتقاق أحد أنواع الجناس عند السيوطى[١]، ووافقه فى ذلك ابن قيم الجوزية حيث يقول عن الاشتقاق : " وهو من باب التجنيس، وإن عُدَّ أصلا برأسه "[٢]، وكذلك الوطواط حين تحدث عن الاشتقاق قال : " ويعتبره أصحاب البلاغة نوعاً من أنواع التجنيس "[٣].

أما القزوينى فجعل جناس الاشتقاق ملحقا بالجناس وليس نوعاً مستقلاً بذاته وعرفه بقوله : " هو أن يجمع بين اللفظين – المتجانسين – الاشتقاق"[٤].

ولقد أطلق عليه بعض علماء البلاغة أسماء أخرى بجانب " الاشتقاق "، فسماه "الاقتضاب " كل من رشيد الدين العمرى المعروف بالوطواط[٥]، وابن قيم الجوزية[٦] وشهاب الدين الحلبى[٧]، وسماه " المقتضب " السيوطى كما جاء فى قوله : " النوع السابع : الاشتقاق، وهو أن يجتمعا – اللفظان – فى أصل الاشتقاق، ويسمى أيضاً "المقتضب "[٨].

وأتى السيوطى له بعدة نماذج منها قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾[٩] وقوله تعالى ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾[١٠]، وقوله ﷺ : " الظلم ظلمات يوم القيامة "[١١]، وكذلك قول كشاجم فى خادم أسود ظالم :

يـــا مـــشبها في فعلـــه لونـــه لم تحـــط مـــا أوجبـــت القـــسمة

(١) شرح عقود الجمان السيوطى صـ٤٠٤.
(٢) الفوائد المشوق، ابن قيم الجوزية صـ٢٢٠.
(٣) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى " الوطواط " صـ١٠٣.
(٤) الإيضاح، الخطيب القزوينى صـ٣٨٩.
(٥) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى " الوطواط " صـ١٠٣.
(٦) الفوائد المشوق، ابن قيم الجوزية صـ٢٢٠.
(٧) حسن الترسل، شهاب الدين الحلبى صـ١٩٣.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤٠٤.
(٩) الروم : من الآية (٤٣).
(١٠) الواقعة : من الآية (٨٩).
(١١) صحيح البخارى ٨٦٤/٣.

فعلـــك مـــن لونـــك مـــستخرج والظلـــم مـــشتق مـــن الظلمـــة[١]

أما يحيى بن حمزة العلوى فقد وهم وسماه " المطلق "، وذلك عندما قال: " وتتفق الكلمتان فى أصل واحد يجمعهما الاشتقاق، وما هذا حاله يقال له " المطلق "[٢]، والحقيقة أن الجناس المطلق غير هذا، وهو ما أطلق عليه شبه الاشتقاق، كما بينا.

والعلماء يختلفون فى جعل الاشتقاق من الجناس أم من غيره، فابن حجة الحموى يقول : " والمشتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدوه تجنيساً، وليس الأمر كذلك، فإن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد، والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه "[٣].

أما ابن الأثير فيقول : " إن جماعة من علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس من الكلام ؛ وذاك أن التجنيس فى أصل الوضع : من قولهم جانس الشيءُ الشيءَ إذا ماثله وشابهه... ولما كانت الحالة كذلك ووجدنا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس "[٤].

النوع السادس : الجناس المعنوى

ويسمى هذا النوع – أيضاً – تجنيس المعنى، وهو قسيم الجناس اللفظى، ذكر السيوطى أنه من زيادته، وأن أكثر البديعيين قد غفلوا عن ذكره، " فلم يتعرض له فى الإيضاح، ولا ذكره ابن رشيق، ولا ابن أبى الإصبع، ولا ابن منقذ، وذكره جماعة وبالغوا فى ظرفه "[٥].

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٤.
(٢) الطراز، يحيى بن حمزة العلوى ٣٥٩/٢، ٣٦٠.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٣١.
(٤) المثل السائر، ابن الأثير ٢٦٢/١.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٤.

من الذين ذكروه المظفر العلوى، فقد قال عنه : " هو أن يأتى الشاعر بألفاظ يدل بمعناها على الجناس وإن لم يذكره "[١]، وكذلك الحلبى والنويرى، فقد تكلما عن " تجنيس المعنى " بصيغة واحدة : " هو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها، وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الإتيان باللفظ المجانس، فيعدل إلى مرادفه "[٢].

وذكره ابن حجة الحموى وأفرد له نوعا من الجناس سماهُ الجناس المعنوى "، ووصفه بأنه " طرفة من طرف الأدب، عزيز الوجود جداًُ "[٣] واقتصر الصفدى على أحد نوعيه وهو جناس الإشارة[٤] وكذلك يحيى بن حمزة العلوى[٥]. وعرض له السيوطى وجعله قسمين :

الأول : تجنيس الإضمار : وعرفه بقوله : " أن يضمر الناظم ركنى التجنيس، ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه "[٦]، وهذا اللون أصعب مسلكا وأعز مجيئا، لذلك تحاشاه بعض البديعيين، مثل الصفدى، والعلوى وتعلقوا بأذيال القسم الثانى " الإشارة " لسهولته.

وأورد السيوطى له عدة نماذج شعرية، منها قول ابن عبدون فى الخمر وقد صارت خلا :

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفرى بعد ثابت

وبنت بسطام اسمها : الصهباء[٧] والشنفرى قال :

اسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمى بعد خِلى لخَل

(١) نضرة الإغريض، المظفر العلوى صـ٧٠.
(٢) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٦٧، نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ٩٧/٧.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٥١.
(٤) جنان الجناس، صلاح الدين الصفدى صـ٣٤.
(٥) الطراز، يحيى العلوى ٢٧٢/٢.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٤.
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى، ص٤٠٤.

والخَل : الرقيق المهزول، فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء و صهباء، وخِل وخَل " [1].

ويكشف هذا النموذج مدى صعوبة مسلك هذا اللون من الجناس، ولتوضيحه نقول : " بسطام بن قيس " كانت له بنت تسمى " الصهباء " وهى التى قصدها " ابن عبدون " بقوله " بنت بسطام ". و" الشنفرى " شاعر أزدى رثى خاله " ثابت بن جابر " بقصيدة منها البيت السابق.

والخل : الرقيق المهزول، وهو مراد " الشنفرى " فى بيته. والخل : أيضا هو السائل المعروف، وهو مراد " ابن عبدون " من قوله : " كجسم الشنفرى".

ومعنى الأبيات : أن هذه الخمر حكت فى الصباح بنت بسطام المسماة الصهباء، وصارت فى المساء كجسم الشنفرى بعد موت خاله : أى خلا.

فجعل الشاعر من " بنت بسطام " و، و" جسم الشنفرى بعد ثابت " جناسين مضمرين ؛ فى صدر البيت الثانى لابن عبدون وعجزه، بين " صهباء " اسم بنت بسطام، و"صهباء " اسم الخمر، وكذلك جناسين مضمرين بين " خل " الرقيق المهزول، و"خل" المادة المعروفة.

وذكر السيوطى نموذجاً آخر، فعرض لصفى الدين الحلى قوله :

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن في فتكه بالمعنى أو أبى هرم

اسم ابن ذى يزن : سيف، وأبو هرم اسمه : سنان، فظهر له جناسان مضمران من كتابة الألفاظ "[2].

ففى اللفظين الظاهرين ؛ اسم ابن ذى يزن، واسم أبى هرم : ركنا جناسين مضمرين بين سيف اسم للقيل اليمنى، وسيف الأداة المعروفة، وكذلك بين سنان اسم أبى الجوَّاد الكريم، وسنان طرف الرمح.

---

(١) السابق صـ٤٠٤، ٤٠٥.
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٥.

الثانى : تجنيس الإشارة : وهو القسم الثانى من الجناس المعنوى، ذكره السيوطى وقال : " ويسمى أيضاً " تجنيس الكناية " ؛ وهو أن يقصد المجانسة فى بيته بين الركنين، فلا يوافقه الوزن على إبرازهما، فيضمر الواحد وتعدل إلى مرادف فيه كناية عن المضمر أو إلى لفظة فيها كناية لفظية تدل عليه"[١].

والفرق بينه وبين جناس الإضمار : أن الأخير يضمر فيه ركنا الجناس معاً، والآخر يضمر فيه أحدهما فقط، ويقام صفته أو كنايته أو مرادفه محله، وأما ركنه الثانى فيكون مذكوراً ظاهراً.

وقد عرض السيوطى له عدة نماذج ؛ منها قول الشاعر :

حلقت لحية موسى باسمه وبها رون إذا ما قلبا

أراد أن يقول " بموسى "، فلم يساعده الوزن، فعدل إلى قوله : " باسمه"[٢]. فالشاعر أشار باسمه إلى " الموسى " : آلة الحلق، وهى تجانس " موسى " التى هى علم على الرجل، فظهر جناس الإشارة.

وكذلك " قول دعبل فى سلمى امرأته :

إنى أحبك حبا لو تضمنه سلمى سميك دق الشاهق الراس

ففى سميك كناية لفظية أشعرت أن الركن المضمر فى سلمى، فظهر جناس الإشارة بين الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل "[٣] .

فالشاعر ذكر " سلمى " وهى اسم امرأته، وسميها " سلمى " أيضا وهو اسم جبل لطئ شرقى المدينة، وفى قوله : " سميك " إشعار بأن الركن المضمر هو سلمى ؛ فظهر جناس الإشارة بين الركن الظاهر وهو " سلمى " اسم الزوجة المحبوبة، والركن المضمر وهو " سلمى " الجبل المشار إليه بسميك.

---

(١) السابق الصفحة نفسها.
(٢) السابق الصفحة ذاتها صـ٤٠٥.
(٣) السابق الصفحة ذاتها.

وذكر السيوطى أن من الإشارة التى دل عليها المرادف قول عقيلة لما أراد قومها الرحيل من بنى ثهلان، وتوجه منهم جماعة يحضرون الإبل :

فمـا مكثنـا دام الجمـال علـيكم بـــثهلان إلا أن تـــشد الأبـــاعر

أرادت أن تجـانس بـين الجمـال – بـالفتح – والجمـال – بالكـسر – فلـم يساعدها الوزن ولا القافية، فعدلت إلى مرادفة الجمال بالأباعر "[1].

(١) السابق الصفحة ذاتها.

ألوان أخرى للجناس

ختم السيوطى حديثه عن أنواع الجناس بعرض ألوان لم يتعرض لها أثناء حديثه عن الجناس واستهلها بقوله: "وللجناس أقسام باعتبارات أخرى"[١]،وذكر منها ثلاثة أقسام هى:

أحدها : الجناس المزدوج :[٢]

وهو أن يتوالى الجناسان مطلقا من غير فصل بينهما إلا بحرف جر أو عطف وما أشبهه : وسمى بذلك لازدواج اللفظين بتواليهما.

وذكر السيوطى أنه " يسمى أيضاً المكرر "[٣]،وقد يكون هذا الاسم لتكرر أحدهما بالآخر. وعرضه الوطواط تحت هذا الاسم، وأشار إلى أنه يسمى "المردد " أيضا وذلك حين قال : " ويسمونه أيضا المردد أو المزدوج، ويكون بأن يجعل الكاتب أو الشاعر فى نهاية الأسجاع أو أواخر الأبيات لفظين متجانسين، ويجب أن يكون هذان اللفظان متتاليين، ويجوز أن تكون فى صدر اللفظ الأول منهما زيادة "[٤].

وأطلق عليه – أيضا – شهاب الدين الحلبى[٥]، وشهاب الدين النويرى[٦]، ويحيى بن حمزة العلوى[٧]، والخطيب القزوينى[٨] الأسماء الثلاثة المتقدمة.

وعرف السيوطى الجناس المزدوج بقوله : " وهو أن يتوالى متجانسان"[٩]، دون أن يشترط شرطا فى مكانهما أو فى صورتهما، ثم أتى بعدة نماذج، منها : قوله تعالى ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[١٠]، وحديث :

---

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤٠٥.
(٢) السابق الصفحة ذاتها.
(٣) السابق، الصفحة ذاتها.
(٤) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى، صـ٩٨.
(٥) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى، صـ٩١.
(٦) نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ٩٣/٧.
(٧) الطراز، يحيى بن حمزة العلوى ٣٦٥/٢.
(٨) الإيضاح، الخطيب القزوينى، صـ٢٩٢.
(٩) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٥.
(١٠) النمل : من الآية (٢٢).

" من حسّن الله خلقه وخلقه كان من أهل الجنة "[١]، وحديث : " المؤمنون هينون لينون "[٢]،، وقول البحترى :

من كل ساجى الطرف أغيد أجيد ومهفهف الكشحين أحوى أحور[٣]

وإشارة السيوطى إلى هذا اللون من الجناس غير كافية، إذ أن الجناس المزدوج يأتى مع الجناس التام والناقص والمحرف واللاحق والمقلوب.

ثانيها : الجناس المجنح :[٤]

الجناس المجنح هو صورة من جناس مقلوب الكل، لكن أصحابه يحتفظون بالكلمتين اللتين تقع فيهما هاتان الصنعتان، فيضعون واحدة منهما فى أول البيت، والأخرى فى نهايته، ويسمى أحياناً " المقلوب المعطوف "[٥].

وتسميته مجنحاً من مخترعات صلاح الدين الصفدى[٦]، معتبراً أن ركنى الجناس صارا للبيت كالجناحين للطائر فى وقوعهما متوازيين فى الطرفين المتقابلين.

وعرضه السيوطى منفرداً عن جناس قلب الكل، وعرفه بقوله : " وهو أن يقع أحد المعلومين أول البيت والآخر آخره "، ومثل له بنموذج شعرى واحد وهو قول الشاعر :

ولاح أنوار الهدى من كفه في كل حال[٧]

(١) أخرجه ابن المبارك فى الزهد " ٣٨٧ ".
(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان " ٨١٨٢ ".
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٥، ٤٠٦.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٥) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى صـ١٠٩.
(٦) جنان الجناس، صلاح الدين الصفدى صـ٣٣.
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.

فالجناس هنا بين " لاح " وهى أول كلمة فى البيت، و" حال " وهى آخر كلمة فى البيت؛ ولأنهما كالجناحين للطائر فى توازيهما، سماه السيوطى مجنحا.

والجناس المجنح عند أكثر العلماء مختص بالشعر، لكن السبكى لا يرى ذلك، فقال معترضا على قول الخطيب القزوينى فى التلخيص : " وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت، والآخر فى آخره سمى مقلوبا مجنحا"، بقوله : " ينبغى أن يقول أو أول الفقرة ليعم النظم والنثر "[١].

ثالثها : الجناس المشوش[٢] :

هو ذلك اللون من الجناس مشتق من قولهم : تشوش الأمر، إذا مزج واختلط بعضه ببعض، وهو ما تجاذبه طرفان من الصناعة، ليس إطلاق أحدهما عليه أولى من الآخر. فلما كان كذلك بقى مذبذبا بين الأمرين ينجذب إلى كل واحد مهما بشبه[٣]، ولا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه[٤].

ذكر السيوطى الجناس المشوش، وعرفه بأنه " كل تجنيس يتجاذبه الطرفان من الصنعة"، ومثل له بمثال تداولته الكتب قبله، وهو قولهم : " مليح البلاغة، أنيق البراعة " وعلق عليه بقوله : " لو اتحدت اللامان " الغين والعين " كان مضارعا، أو العينان " اللام والراء " كان مصحفا[٥].

والسيوطى كعادته يوظف محفوظه من الحديث الشريف فى عرض مسائله البلاغية، وفى هذا الإطار عرض " حديث أبى داود " : " سوء الخلق شؤم "[٦] وذكر أنه " لو اتحد أول الكلمة كان مطرفا، أو حذفت الميم كان مصحفا "[٧].

(١) عروس الأفراح، السبكى صـ٢٨٩، ٢٩٠.
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٣) الطراز، يحيى بن حمزة العلوى ٣٦٨/٢.
(٤) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٦٥.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٦) سنن أبى داود: ١٩١/٥.
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.

وذكر – أيضاً " حديث الترمذى وغيره: "منى مناخ من سبق "[1]، وقال : لو اتحدت حركات الميمات كان فى الكلمات الثلاث جناس مطرف، أو حذفت الخاء كان محرفا"[2]

الجناس والتورية

لقد كان ابن حجة الحموى مفرطا فى التعصب على الجناس، إذ أنه لا يرى له وخاصة التام منه مزية، وحكم عليه بأنه من الأنواع المتوسطة فى البديع.

غير أنه رأى إن جعلنا من الجناس تورية خففنا من ثقله، ورفعنا من صنعته، وخلعنا عليه مسحة جمال، فيقول : " إن هنا بحثا لطيفا، وهو أنه قد تقرر أن ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى ؛ لأنه نوع لفظى لا معنوى، وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع، والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة، فإذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد، وخلصت من عقادة الجناس، وحركت الأذواق، وأبهجت خاطر السامع بما أتحفته من بديع تركيبها[3].

وأراد ابن حجة أن يرينا رأى العين، ويقيم الدليل على مبلغ ما بين اللونين من الحسن والجمال، قال : " وأنا اذكر المثالين هنا ليتضح فى الأذهان الصحيحة أن النهار لم يحتج إلى إقامة دليل، قال صاحب الجناس المركب :

أعن العقيق سألت برقا أومضا أقام حاد بالركائب أومضى

قال صاحب التورية :

(١) سنن أبى داود: ٢٢٨/٣.
(٢) السابق الصفحة ذاتها.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى، صـ٣٠،٢٩.

وإذ اتبسم ضاحكا لم ألتفت إن عاد برقا في الدياجى أومضا[1]

ثم جاء السيوطى وتأثر بهذا الرأى تأثراً كبيرا، وتابع صاحبه بلا تمحيص أو تدبر، فنراه يقول : " ثم نبهت على أن الجناس نوع متوسط فى البديع ليس كالتورية والاستخدام والطباق ونحوها "[2].

ولم يكتف السيوطى بقوله هذا عن الجناس، بل استمر فى متابعة صاحبه فقال : " إنما يحسن إذا قل، فإن كثر سمج وخرج إلى حد النزول، بخلاف التورية ونحوها، فإن جعل الجناس تورية وانحصر المعنيان فى ركن واحد، فقد علت رتبته وارتفعت، وصار يسمى بالتورية التامة... ثم أتى بالمثالين السابقين"[3].

ولو تأنى السيوطى قليلا لكان كلامه أكثر قبولا، لأن الجناس شأنه فى ذلك شأن كل الحلى البديعية، عماده الطبع المواتى الذى يقذف به سهواً رهواً فى حالات الصفاء والتسامى واعتدال المزاج.

أما حين يكون الجناس من عمل التصنيع، واعتصار الفكر، واستكراه القريحة، فإنه يثقل على السمع، ويسمج فى النفس، ولا تشفع له هذه الطنطنة المجلوبة ؛ لأنها خلت من ومضات الوحى ولمسات العبقرية [4].

وأقل تأمل فى المثالين اللذين أوردهما الحموى ومن بعده السيوطى، بعد أن نالا إعجابهما " يجعلنا نحكم عليهما جميعا بقبح الصياغة وتفاهة المعنى، والمغالاة فى التكلف والتلاعب بالألفاظ ؛ فلا خير فى التورية ولا مزية للجناس فيهما، فهما سواء فى السخف والإسفاف، وإن بدا لى أن الجناس فى البيت

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤٠٦.
(٣) السابق صـ٤٠٦، ٤٠٧.
(٤) فن الجناس، على الجندى صـ٣٣.

الأول الذى لم يعجبه " الحموى " أقل ثقلا، وأدنى إلى القبول من التورية فى البيت الثانى على فرط إعجابه به، ويكفى فى قبح البيت ورداءة نسجه أننا لكى نحقق ركنى التورية، نجدنا مضطرين أن نرسم " مضى " بالياء مرة وبالألف أخرى، لنجمع بين معنى المضى والإيماض، وهو تلفيق مضحك وغريب "[1].

(١) فن الجناس، على الجندى صـ١٧٣.

المبحث الثاني
رد العجز على الصدر

من فنون البديع "رد العجز على الصدر" وهو ما سمي عند بعض علماء البلاغة "التصدير" ، ومن أوائل من أطلق عليه هذا الاسم هو (الأصمعي) حين قال: "من حسن التصدير قول عامر بن الطفيل:

فكنت سناماً في فزارة تامكا ∴ وفي كل حي ذروة وسنام"[١]

وأطلق عليه التبريزي والبغدادي "رد الكلام على صدره"[٢]، وسماه أسامة بن منقذ "ترديدا" و "تصديراً" في قوله : " باب الترديد ويسمى التصدير ، اعلم أن الترديد هو رد أعجاز البيوت على صدورها ، أو ترد كلمة من النصف الأول في النصف الثاني"[٣].

وأشار الجاحظ إلى هذا الفن دون أن يأتي له بمثال أو يعقد له باباً ، وذلك حينما نقل قول ابن المقفع في حديثه عن البلاغة : "..... حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه "[٤].

وجاء عبد الله بن المعتز وعده من فنون البديع الخمسة، وعقد له بابا ، هو الباب الرابع من كتابه "البديع" ، وسماه "رد أعجاز الكلام على ما تقدمها" ،وقسمه ثلاثة أقسام ، ومثل لكل منها[٥] . وعقد له أبو هلال العسكري الفصل الثامن عشر تحت عنوان "رد الأعجاز على الصدور" ، وتأثر فيه كثيراً بأقسام ابن المعتز وببعض أمثلته[٦].

وتأثر بابن المعتز أيضاً – ابن رشيق في عمدته ، فأورد له بابا سماه '' باب التصدير'' وذكر أنه يسمى "رد أعجاز الكلام على صدوره" ونقل الأقسام الثلاثة بصورتها ، لكنه تصرف في التمثيل[٧].

---

(١) نضرة الإغريق في نصرة القريض ، المظفر العلوي ، صـ١٠٤ .
(٢) ينظر / الوافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، صـ٢٧٢، وقانون البلاغة ، البغدادي صـ٤٤٤ .
(٣) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، صـ٥١.
(٤) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ١/ ١١٦.
(٥) البديع ، عبد الله بن المعتز ، صـ٤٧ – ٥٣ .
(٦) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٣٧٥ – ٣٧٨.
(٧) العمدة ، ابن رشيق ، ٢ /٣ – ٥.

وجاء ابن أبي الإصبع المصري ، وتناول أقسام ابن المعتز، وأطلق عليها أسماء ، فقال : "والذي يحسن أن نسمى به القسم الأول تصدير التقفية ، والثاني تصدير الطرفين ، والثالث تصدير الحشو"(١) . واستدرك قسماً رابعاً غاب عن ابن المعتز ، وصورته أن يأتي فيما الكلام فيه منفي ، واعتراض فيه إضراب عن أوله ، كقول أبي العطاء السندي:

فإنك لم تبعد على متعهد ∴ بلى كل من تحت التراب بعيد(٢)

وظل علماء البلاغة بعدهم يتناولون هذا اللون البديعي في مؤلفاتهم بصورة تتراوح بين الإطالة والإيجاز ، وبين اختلاف في الاسم الذي أطلق عليه ، حتى جاء الإمام السيوطي ، وساير غيره ممن سبقه من العلماء ، وتأثر كثيراً بآرائهم ، وعرض له في كتابيه "شرح عقود الجمان"(٣) و"معترك الأقران"(٤).

ففي كتابه الأول ذكره تحت عنوان "رد العجز على الصدر" ، وذكر أنه يسمى "التصدير"(٥) ، وهو في ذلك جمع بين الإسمين اللذين أطلقهما كثير من علماء البلاغة على هذا الفن.

وذكر – رحمه الله – أن هذا النوع يأتي في النثر وفي الشعر ، وابتدأ بمجيئه في النثر بقوله : "أن تقع اللفظة أوله ومثلها أو مجانسها ، أو الملحق بها آخره"(٦) ، ثم أورد أمثلة تحوي هذا الفن ، وهي لا تخرج عن الأقسام التي ذكرها من سبقه من العلماء، وكذا ما أوردوه من أمثلة .

ويبدو أن "المدني" قد تأثر به ، فأورد الأمثلة التي ذكرها "السيوطي" للأقسام الثلاثة الأول ، وزاد عليه القسم الرابع الذي يختص باللفظتين اللتين يجمعهما شبه اشتقاق(٧).

(١) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع ، ١١٧/١.
(٢) السابق ١١٨/١.
(٣) ينظر: شرح عقود الجمان ، السيوطي ، ص ٤٠٧ – ٤٠٩
(٤) ينظر: معترك الأقران ، السيوطي ، ٣٨/١.
(٥) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٠٧.
(٦) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٠٧.
(٧) ينظر أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٩٤/٣ - ١٠٩.

وفي ضوء الأمثلة التي أوردها السيوطي يمكن تصنيف صور "رد العجز على الصدر" أو "التصدير" وهي التي بنى عليها تعريفه السابق ، وكذا أمثلته فيما يلي:-

(١) وقوع اللفظة ومثلها ، أي اتفاقهما في اللفظ والمعنى ، وذلك مثل قوله تعالى:﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾(١)

(٢) وقوع اللفظة ومجانسها ، أي أنهما تشابها في اللفظ دون المعنى، نحو قولهم : سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل.

(٣) وقوع اللفظة وما اشتق منها ، أي أن اللفظتين يجمعهما الاشتقاق، مثل قوله تعالى :﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (٢)(٣)

وفي كتابه الثاني " معترك الأقران" أورد هذا اللون البديعي تحت عنوان "التصدير" ، وذكر أنه يسمى "رد العجز على الصدر"، ثم نقل أقسامه الثلاثة من ابن المعتز دون ذكر للأمثلة الشعرية ، فقد اعتمد السيوطي في أمثلته على القرآن الكريم ، حيث إن كتابه هذا مخصص لبيان إعجاز القرآن الكريم، فقال :" وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية ، ويسمى أيضاً رد العجز على الصدر، وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام:

?لأ?? : أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر، نحو ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٤).

?لثاني : أن يوافق أول كلمة منه ، نحو : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(٥) ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ (٦).

?لثالث : أن يوافق بعض كلماته ، نحو : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(٧) ،

(١) الأحزاب : آية ٣٧ .
(٢) نوح : آية ١٠.
(٣) ينظر : شرح عقود الجمان السيوطي ، صـ٤٠٧.
(٤) النساء : من الآية ١٦٦.
(٥) آل عمران : من الآية ٨ .
(٦) الشعراء : من الآية ١٦٨.
(٧) الأنعام : الآية ١٠.

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾ (١) ، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴾(٢)(٣) .

ثم تحدث السيوطي بعد ذلك عن وقوع هذا النوع البديعي في الشعر ، مؤطراً صوره بقوله : " وفي الشعر أن يكون أحد اللفظين المذكورين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الثاني ، أو صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره"(٤) . ثم أورد أمثلة لهذه الأقسام الأربعة ، مع ذكر تفريعات لبعضها.

وطريقة السيوطي في عرضه لهذه الأقسام قد تأثر بها كثيراً (المدني) في "أنوار الربيع" ، إلا أن السيوطي أوجز في ذكر تفريعات بعض الأقسام ، فأورد أمثلة لأربع تفريعات ليكون جملة ما أورده ثماني صور ، بخلاف (المدني) الذي عرض اثنتي عشرة تفريعة لأقسامه الأربعة، ليكون جملة ما أورده ست عشرة صورة(٥).

ومع أن السيوطي لم يؤطر الأقسام الأربعة التي ذكرها ، وكذا التفريعات التي ألحقها ببعض الأقسام ، إلا أن منهجية البحث تحتم توضيح ذلك. والأمر الملفت للنظر أن صاحبنا على الرغم من فهمه لطريقة حصر الصور إلا أنه أهمل ثماني صور دون أن يبرر لذلك ، ويمكننا عرض الأقسام التي ذكرها السيوطي وتفريعاتها فيما يلي :

?لأ?? : وقوع أحد اللفظين المكررين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الثاني، سواء أكان اللفظان مكررين كقول ذي الرمة:

وإن لم يكن إلاّ معرج ساعةٍ ∴ قليلاً فإني نافع لي قليلها

أو كانا متجانسين مثل قول الأرجاني :

أملتـهم ثـم تأملتهم ∴ فلاح لي أن ليس فيهم فلاح

(١) الإسراء : الآية ٢١.
(٢) سورة طه : الآية ٦١.
(٣) معترك الأقران ، السيوطي ، ٣٨/١ .
(٤) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ ٤٠٨.
(٥) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٣ /٩٤ – ١٠٩.

أو كانا ملحقين بالمتجانسين مثل :

وقد كانت البيض القواضب في الوغي ∴ بواتر فهي الآن من بعده بتر

?لثاني : وقوع أحد اللفظين في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول، سواء أكان اللفظان مكررين مثل قول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ∴ وليس إلى داعي الندى بسريع

أو كان اللفظان متجانسين مثل قول القاضي الجرجاني :

دعاني من ملامكما سفاهاً ∴ فداعي الشوق قبلكما دعاني

?لثالث : وقوع أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت ، والآخر في حشو المصراع الأول ، كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ∴ فليس على شيء سواه بخزان

?لر?بع : وقوع أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في آخر المصراع الأول ، سواء أكان اللفظان مكررين مثل قول الشاعر:

فمشغوف بأبيات المثاني ∴ ومفتون برنات المثاني.

أو كانا ملحقين بالمتجانسين مثل قول الشاعر :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ∴ أطنين أجنحة الذباب يضير[1]

وكذلك فإن تأثر السيوطي بالقزويني كان واضحاً ، إذ اتفق معه في ذكر أقسام التصدير في الشعر مجملة ، وكذلك الأمثلة، إلا أنه أهمل أربع صور من تفريعات القزويني، وهي الصورة الثانية والثالثة والسادسة والتاسعة[2].

وللتصدير قيمة بلاغية باعتباره صورة من صور تلاحم الأسلوب وترابطه ، لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية ، ولذلك أعجب السيوطي به ، وعده من "الأنواع اللطيفة"[3] ، وخاصة إذا تعانق مع غيره من مستدعيات الجمال الأسلوبي، فذكر أنه " إن انضم إلى التصدير تورية علا قدره. .. كقول ابن الوردى:

مطرزة مثل بدر السما ∴ تنمق وجه بدر الضيا بالظلم

(١) ينظر شرح عقود الجمان ، السيوطي، صـ٤٠٨ – ٤٠٩.
(٢) ينظر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، شرح عبد المتعال الصعيدي ، ٤ /٧٧ – ٨١.
(٣) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٠٧.

سبى حسنها عقل تطريزها ∴ ألم تره ليس يشكو ألم [١]

والإعجاب بهذا الفن ليس مقصوراً على السيوطي ، فقد سبقه في هذا الإعجاب أبو هلال العسكري حين قال في صدر حديثه " رد الأعجاز على الصدور" : "فأول ما ينبغي أن تعلمه ... إنك إذا قدمت ألفاظاً تقتضي جواباً فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب ، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها ... كقول الله تعالى﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [٢]، وكتب بعض الكتاب في خلاف ذلك... من اقترف ذنباً عامداً، أو اكتسب جرماً قاصداً ، لزمه ما جناه ، وحاق به ما توخاه ، والأحسن أن يقول : " لزمه ما اقترف، وحاق به ما اكتسب" وهذا يدلك على أن لرد الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً من البلاغة ، وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً.."[٣].

وكذلك ابن رشيق ، فقد أعلن عن إعجابه بهذا الفن البديعي في مستهل حديثه عن "باب التصدير" بقوله :"وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة"[٤].

وهناك من العلماء من ذهب إلى إخراج "رد العجز على الصدر" من البديع وإدخاله في باب التجنيس مثل ابن الأثير ، فقد قال: "ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه باباً وسماه "رد الأعجاز على الصدور " خارجاً عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه" [٥].

(١)السابق صـ٤٠٩
(٢) الشورى: من الآية ٤٠.
(٣) الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، صـ٣٧٥.
(٤) العمدة ، ابن رشيق ، ٢ /٣
(٥) المثل السائر ، ابن الأثير ، ١ /٢٥١.

وقال السبكي في "عروس الأفراح" إنه "من أنواع التحسين اللفظية لا من الجناس"[١] وقد سبقه إلى هذا السكاكي[٢] والقزويني[٣] وتبعهم السيوطي[٤] والمدني[٥] وغيرهما.

(١) عروس الأفراح ، بهاء الدين السبكي ، ٤ /٤٢٣.
(٢) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ، ص٢٢٨
(٣) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، ٤ /٧٧.
(٤) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، ص٤٠٧ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣٨ .
(٥) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ،٣ /٩٤.

المبحث الثالث

التسبيغ

قال صاحب اللسان : سبغ الشيء يسبغه سبوغاً : طال إلى الأرض واتسع ، وشيء سابغ أي كامل واف، وسبغت الدرع وكل شيء : طال إلى الأرض فهي سابغ(١).

و"التسبيغ" لون بديعي ذكره ابن أبي الإصبع ، ورأى أن الأولى به أن يسمى "تشابه الأطراف" ، فقال : "هذا الباب سماه الأجدابي "التسبيغ" ، وفسره بأن قال : هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، و "التسبيغ" زيادة في الطول ، ومنه قولهم : درع سابغة ، إذا كانت طويلة الأذيال . وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء . وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى ، فرأيت أن أسمى هذا الباب "تشابه الأطراف" ؛ لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها"(٢).

وفي إطار التمثيل له نثراً قال : "ولم أظفر من الكتاب العزيز في هذا الباب إلا بقوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾(٣) ، فالحظ تشابه أطراف هذه الجمل لتقدر هذا النظم قدره"(٤).

وأتى له بعدة نماذج شعرية ، وذلك حينما قال : "وما بأبيات قلتهن في هذا النوع من بأس ، وهي :

خليلي إن لم تعذراني في الهوى ∴ ولم تحملا عني اذهبا ودعاني
دعاني إليه الحب فالحب آنفاً ∴دعاني قلبي إذ دعاه جناني
جناني في سكر فلا رعي عنده ∴ بكأس بها ساقي الغرام سقاني

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (سبغ) .
(٢) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٤/ ٥٢٠.
(٣) النور : من الآية ٣٥.
(٤) بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع ٢٣٠/١.

الأبيات ..."[١].

وكذلك "ابن حجة الحموي" فقد ذكر أن هذا النوع الذي سموه "تشابه الأطراف" هو أيضاً مثل "المراجعة" ليس في كل منهما كبير أمر، وتالله ما خطر لي يوماً ولا حسن في الفكر أن ألحق طرفاً من تشابه الأطراف بذيل من أبيات شعري ، ولكن شروع المعارضة ملتزم ... وهذا النوع كان اسمه "التسبيغ" ، وإنما "ابن أبي الإصبع" قال : هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى، فسماه "تشابه الأطراف"، فإن الأبيات فيه تتشابه أطرافها"[٢].

وجاء "الخطيب القزويني" فعدَّ "تشابه الأطراف" لوناً من "مراعاة النظير أو التناسب" ، وقال : "ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم "تشابه الأطراف" ، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [٣] ، فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً به..."[٤].

أما "الإمام السيوطي" فقد عرف "التسبيغ" بقوله : "وهو أن يعاد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها"[٥]. ومثل له بقول "أبي نواس" :

خزيمة خير بني حازم ∴ وحازم خير بني دارم
ودارم خير تميم وما ∴ مثل تميم في بني آدم[٦]

ورفض أن يطلق على هذا الفن البديعي "تشابه الأطراف" بقوله: "وسماه قوم "تشابه الأطراف" ، وقد تقدم أنه اسم لغير ذلك"[٧].

وما ذلك إلا لأن السيوطي – رحمه الله – قد جعل "تشابه الأطراف هو الصنف الثالث من أصناف "مراعاة النظير أو التناسب" ، ونقل بتصرف يسير ما جاء به القزويني تعريفاً وتمثيلاً ، وذلك حين قال : و "الثالث : أن يناسب

(١) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٥٢١/٤.
(٢) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ١٠٢.
(٣) الأنعام : الآية ١٠٣.
(٤) بغية الإيضاح ، الخطيب القزويني ، ج٤ صـ١٦.
(٥) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٠٩.
(٦) السابق ، الصفحة ذاتها.
(٧) السابق ، الصفحة ذاتها .

المعنى المعنى بأن يؤتي في آخر الكلام بما يناسب أوله معنى ، وهذا النوع يسمى "تشابه الأطراف" ، كقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [1] ، فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب ما يدرك"[2].

والسيوطي معجب "بالتسبيغ" ، وذلك لأن هذا اللون البديعي عنده من الأنواع اللطيفة[3] ؛ لأنه ينظم الكلام في نسق بديع متلاحم الأجزاء متناسب الدلالات.

والشاعر أو الناثر كناظم الجوهرة الذي يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق، فإذا جاء الكلام مفككاً غير مترابط كان ذلك دليلاً على التكلف والتعمل ، ولذلك يقول ابن قتيبة : "وتتبين التكلف في الشعر بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً إلى غير لفقه"[4].

وإصرار السيوطي على تسمية هذا اللون البديعي باسم "التسبيغ" ، ورفضه لما ذهب إليه –" ابن أبي الإصبع" من تسميته " تشابه الأطراف" يؤكد على مقدرته العالية في تذوق النصوص وإصدار الأحكام، وأنه ليس قارئاً عادياً يستقبل كلام غيره ، ثم يرويه دون تمحيص أو إعمال فكر...

وجاء بعده ابن معصوم المدني ، وعقد فصلاً سماه "تشابه الأطراف" وقال : "تشابه الأطراف عبارة عن أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليها ، فتكون الأطراف متشابهة ، وسماه قوم التسبيغ، والتسمية الأولى أولى"[5].

---

(١) الأنعام : الآية ١٠٣ .
(٢) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٣٧.
(٣) السابق ، صـ٤٠٩.
(٤) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ١ /٩٦.
(٥) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٣ /٤٥.

المبحث الرابع
التطريز

قال ابن منظور المصري : الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان ، ويقال طرَّز الثوب فهو مطرَّز ، والطرز والطراز : الجيد من كل شيء، والطراز: البزة والهيئة[١].

والتطريز فن بديعي ، قيل إن أبا هلال العسكري قد ابتدعه ، ويبدو ذلك من قوله : "وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع" ، وذكر منها "التطريز"[٢]، وعقد له الفصل الرابع والثلاثين من كتابه، وعرفه بقوله: " هو أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فتكون فيها كالطراز في الثوب ، وهذا النوع قليل في الشعر"[٣].

ثم ذكر له نماذج ، وبدأها بقوله: "ومن أحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر":

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ∴ لم يحمد الأجودان : البحر والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوار غرته ∴ تضاءل الأنـوران : الشمس والقمرُ
وإن مضى رأيه أوحد عزمته ∴ تأخر الماضـــيان : السيف والقدرُ

فالتطريز في قوله : الأجودان ، والأنوران ، والماضيان ..."[٤] .

وجاء أسامة بن منقذ في كتابه "البديع في نقد الشعر" ، ونقل تعريف العسكري وأمثلته وأضاف إليها[٥].

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (طرز).
(٢) كتاب الصناعتين ، العسكري ، صـ٢٥٦.
(٣) السابق ، صـ٤١٢.
(٤) السابق ، الصفحة ذاتها.
(٥) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ، صـ٦٤.

أما ابن أبي الإصبع فقد رأى أن "التطريز" غير الذي ذكره العسكري ، وعرفه بقوله : "هو أن يبتدئ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك الجملة الأولى، فتكون الذوات في كل جملة متعددة تقديراً ، والجمل متعددة لفظاً ، والصفة الواحدة المخبر بها عن تلك الذوات متعددة لفظاً ، وعدد الجمل التي وصفت بها الذوات لا عدد الذوات عدد تكرار واتحاد لا تعداد تغاير".[١] ومثل له بقول ابن الرومي:

أموركم بني خـاقان عـندي ∴ عجاب في عجـاب في عجـاب
قرون في رؤوس في وجوه ∴ صلاب في صلاب في صـلاب

وقول ابن المعتز :

فثوبى والمدام ولون خـــدى ∴ شقـيق في شـــقيق في شـــقيق[٢]

وهذا النوع البديعي الذي ذكره ابن أبي الإصبع وأطلق عليه "التطريز" هو من مبتدعاته، أما "التطريز" الذي ذكره العسكري فيسميه ابن أبي الإصبع "التوشيع" [٣].

وتبعه في هذا الرأي "بدر الدين بن مالك " وعرف "التطريز بقوله : "وهو أن يشتمل الصدر على ثلاثة أسماء مخبر عنه ويتعلق به ، ويشتمل العجز على الخبر مقيداً بمثله مرتين"[٤].

وتبعه – أيضاً – "شهاب الدين الحلبي" في كتابه "حسن التوسل إلى صناعة الترسل"[٥]، و " شهاب الدين النويري" في كتابه " نهاية الأرب في فنون الأدب" [٦] ، و "يحيى بن حمزة العلوي في كتابه" الطراز المتضمن

(١) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٣١٤/٢.
(٢) السابق صـ٣١٥ .
(٣) ينظر : السابق ، هامش المحقق صـ٣١٤.
(٤) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك ،صـ٨١
(٥) ينظر : حسن التوسل ، شهاب الدين الحلبي ، صـ٢٧٣.
(٦) ينظر : نهاية الأرب ، النويري ، ١٤٨/٤.

لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" [١] ، و "بهاء الدين السبكي" في كتابه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"[٢] ، و "ابن حجة الحموى" في كتابه "خزانة الأدب وغاية الأرب" [٣].

وتبعه كذلك جلال الدين السيوطي ، حيث اقتفى أثره في تعريف "التطريز" والتمثيل له، فعرفه بقوله : "وهو أن يبتدئ بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ، ثم يخبر عنها بصفة واحدة مكررة بحسب العدد الذي أتى به"[٤] ، ومثل ببعض الأمثلة التي جاء بها ابن أبي الإصبع ، منها قول ابن الرومي:

قرون في رؤوس في وجوه ∴ صلاب في صلاب في صلاب

وكذا قول ابن المعتز :

كأن الكأس في يدها وفيها ∴ عقـيق في عقــيق في عقــيق

فثوبى والمدام ولون خــدى ∴ شقـيق في شــقيق في شــقيق[٥]

فالسيوطي قد تابع ابن أبي الإصبع ، وسار على خطاه في هذا الفن تعريفاً وتمثيلاً ، ويبدو أنه معجب – أيضاً – بهذا اللون البديعي مثلما أعجب "بالتسبيغ" و "التعديد" و "التنسيق" ، إذ أنه قد أعلن إعجابه بهذه الألوان البديعية حين وصفها بأنها "أنواع لطيفة"[٦].

والسيوطي هنا عندما وافق غيره لم يكن ناقلاً فحسب ممن سبقوه ، بل كان يعمل عقله وفكره وعلمه وثقافته فيما كتبوه ، فقد رفض ما جاء به "أبو هلال العسكري" و "أسامة بن منقذ" من تعريف وتمثيل لما أطلقا عليه اسم "التطريز" ، ووافق جمهور علماء البلاغة ممن سبقوه على تسميته باسم "التوشيع".

---

(١) ينظر : الطراز ، العلوي ، ٣ /٩١.
(٢) ينظر : عروس الأفراج ، بهاء الدين السبكي ، ٤ /٤٧١.
(٣) ينظر : خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٣٧٥.
(٤) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤٠٩.
(٥) السابق صـ٤٠٩، ٤١٠ .
(٦)السابق صـ٤٠٩

ولكي يوضح السيوطي رأيه نراه يستعين بمحفوظه من الحديث الشريف، فيعرض العديد منها كنماذج لهذا الفن ، إضافة إلى عرض كثير من النماذج الشعرية ، ليؤكد صحة رأيه وسلامة موقفه(١).

و"التوشيع" عده السيوطي من أساليب الإطناب ، وعرفه بقوله : "وهو لغة: لف القطن المندوف . واصطلاحاً: أن يؤتي في آخر الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول . وقال في المصباح هو مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة في البرد ، كقوله - ﷺ - : يكبر بني آدم ويكبر معه اثنتان الحرص وطول الأمل ، رواه البخاري من حديث أنس ، وقوله - ﷺ - : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن ، رواه ابن ماجة عن ابن مسعود " (٢) ، وغير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة.

(١) ينظر : شرح عقود الجمان ، السيوطي ١١٦ ، ١١٧.
(٢) السابق صـ١١٦.

المبحث الخامس
التعــديد

التعديد أحد الفنون البديعية ، ذكره كثير من العلماء القدامى منهم والمحدثين ، واختلفت الأسماء التي أطلقت عليه ، وفي إطار تأصيل هذا المصطلح البديعي تاريخياً نجد أن "فخر الدين الرازي" ، قد سماه "التعديد" ، وقال عنه : "هو إيقاع الأعداد من الأسماء المفردة في النثر والنظم على سياق واحد"(١).

ثم مثل له بقول القائل : "فلان إليه الحل والعقد ، والقبول والرد، والأمر والنهي، والإثبات والنفي" ، ومن النظم قول المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني ∴ والطعن والضرب والقرطاس والقلم(٢)

وأخذ كثير من العلماء ما ذكره الرازي عن "التعديد" ، وإن اختلفت الأسماء التي أطلقوها عليه؛ مما أوحى لبعضهم بالقول : إن هذا الفن من استخراج الرازي وابتكاره، غير أننا وجدنا أن "الثعالبي" قد ذكره قبل تحت اسم "سياقة الأعداد"(٣).

وكذلك " رشيد الدين العمري" المعروف "بالوطواط" الذي قال : "سياقة الأعداد : وتكون هذه الصنعة بأن يسوق الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه عدداً من الأسماء المفردة على نسق واحد ، بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته ، ويكون اسماً كذلك لشيء آخر"(٤).

---

(١) نهاية الإيجاز ، الرازي ، صـ٧
(٢) السابق صـ٧ ، ٨ .
(٣) يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ١ /٢١٢.
(٤) حدائق السحر ، رشيد الدين العمري (الوطواط) ، صـ١٤٩.

وذكره "شهاب الدين الحلبي"(١) و "النويري"(٢) وسمياه " سياقة العدد " أو "سياقة الأعداد" ، وقد نقلا كلام الرازي ومثاليه النثري والشعري ، وكذلك جاء " ابن القيم الجوزية " وسماه "سياقة الأعداد" ، وذكر تعريف الرازي ومثاليه ثم أضاف أمثلة أخرى من القرآن الكريم(٣).

ولا يخرج كلام "الزركشي" في "التعديد" عن كلام السابقين حين عرفه بأنه "إيقاع الألفاظ المبدّدة على سياق واحد ؛ وأكثر ما يؤخذ في الصفات، ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ، ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق"(٤).

وقد سماه جماعة من المتأخرين "الأعداد" ، فقد ذكر "الحموي" ما يشير إلى ذلك بقوله : "وهذا النوع أعني التعديد ذكره الإمام فخر الدين الرازي وغيره وسماه قوم الأعداد"(٥).

وجاء "جلال الدين السيوطي" وسار على نهج من سبقوه ، فذكره باسم "التعديد" وعرفه بقوله : "أن يوقع أسماء مفردة على سياق واحد"(٦)، ومثل له بعدة أمثلة ، من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ ..... ﴾(٧) ومن الحديث "كفى بالمرء في ذنبه أن يكثر حظه ،

(١) ينظر : حسن التوسل، الحلبي ، صـ٢٤٧.
(٢) ينظر : نهاية الأرب ، النويري ، ٧ /١٣٠.
(٣) ينظر : الفوائد المشوق ، ابن قيم الجوزية ، صـ١٦٤.
(٤) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ٣ /٤٧٥.
(٥) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٤١٦.
(٦) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٠.
(٧) البقرة : من الآية ١٥٥.

وينقص عمله ، وتقل حقيقته ، جيفه بالليل ، بطال بالنهار، كسول، جزوع ، منوع ، هلوع، رتوع" ، ومن الشعر قول المتنبي:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني ∴ والسيف والرمح والقرطاس والقلم(١)

وعرض "السيوطي" لهذا الفن البديعي – أيضاً – في كتابيه " الإتقان من في علوم القرآن" و "معترك الأقران" بصيغة واحدة تعريفاً وتمثيلاً ، فعرف التعديد بقوله" هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد"(٢).

وهذا التعريف موافق لما أتى به في كتابه "شرح عقود الجمان" ، غير أنه قد أضاف على هذا التعريف قوله : "وأكثر ما يوجد في الصفات"(٣) ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ..... ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ .....﴾(٥) ، وقوله تعالى : ﴿.... مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ .....﴾ (٦) وهذا القيد الذي أورده "السيوطي" قد انفرد به "الزركشي" في كتابه "البرهان" ، وعلل له(٧) ، وجاء "السيوطي" فنقل التعريف والقيد والأمثلة دون تعليل أو تحليل.

(١) شرح عقود الجمان ، صـ٤١٠.
(٢)الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣ /٢٦، ومعترك الأقران ، السيوطي ٣٠١/١.
(٣) المصدران السابقان ، ٣ /٢٦٩ ، ٣٠١/١.
(٤) الحشر : من الآية ٢٣.
(٥) التوبة : من الآية ١١٢.
(٦) التحريم : من الآية ٥ ، الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٢٦٩، معترك الأقران، السيوطي
١ /٣٠١.
(٧) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ٣ / ٤٧٥ ، ٤٧٦.

والسيوطي معجب بهذا اللون البديعي ، وإعجابه به مقرون بتعانقه مع محسن بديعي آخر ، ويبدو ذلك من قوله : "فإن روعى فيه طباق أو جناس أو ازدواج أو مقابلة ، فهو الغاية في حسن هذا النوع"(١).

وقد سبقه إلى هذا المنحى ، وأرشده إلى هذه الرؤية الجمالية "رشيد الدين العمري" حين قال أثناء حديثه عن فن "التعديد" : "وهذه الصنعة أكثر قبولاً وأشد أسرًا إذا اقترنت بازدواج اللفظ أو التجنيس أو التضاد أو أي صنعة أخرى من صناعات البلاغة"(٢).

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤١٠.
(٢) حدائق السحر ، رشيد الدين العمري (الوطواط) ، صـ ١٤٩.

المبحث السادس
التنســيق

يقول صاحب لسان العرب : النسق من كل شيء : ما كان على طريقة نظام واحد، وقد نسقه تنسيقاً ، والتنسيق الترتيب(١).

والتنسيق فن بديعي عرض له كثير من العلماء، وذكروه بأسماء مختلفة فتحدث عنه "رشيد الدين العمري" وسماه "تنسيق الصفات" ، وعرفه بقوله: "وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر شيئاً بجملة أسماء أو جملة صفات متوالية". وذكر أمثلة له من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر(٢).

وذكره "الرازي"(٣) بهذا الاسم ومثل له بالآيات التي أوردها "الوطواط دون أن يعرفه ، وكذلك "الحلبي"(٤) و "النويري"(٥) فقد سمياه – أيضاً – "تنسيق الصفات" وأتيا له بعدة نماذج.

وسماه "ابن أبي الإصبع" "حسن النسق" ، وعرفه بقوله : "هو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً لا مستهجناً ، والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه واستقل معناه بلفظه ، وإن ردفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد ، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما ، ونقص كمالهما ، وتقسم معناهما وهما ليسا كذلك...."(٦).

ثم أتى له بعدة نماذج منها قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾(٧)

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نسق)
(٢) حدائق السحر ، رشيد الدين العمري (الوطواط) صـ١٥٠.
(٣) نهاية الإيجاز ، فخر الدين الرازي ، صـ١١٣.
(٤) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبي ، صـ١١٣.
(٥) نهاية الأرب ، شهاب الدين النويري، ٧ /١٣١.
(٦) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٤٢٥/٣.
(٧) هود : الآية ٤٤.

وجاء جلال الدين السيوطي" وتحدث عن هذا الفن البديعي بعد أن قرأ آراء السابقين فيه، وأورد له اسمين ؛ هما "التنسيق" و "حسن النسق" [١]، وذكر فيه قولين هما:

الأول : ما ذكره الوطواط والرازي والحلبي والنويري وهو " أن يذكر الشيء بصفات متوالية"[٢].

الثاني: وهو " أن يؤتى بالكلمات من النثر والشعر متلاءمات متلاحقات تلاحما سليما مستحسناً ، لا معيباً مستهجناً ، ويكون جملها ومفرداتها منسقة متوالية ، إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه"[٣]، وهذا التعريف موافق لما جاء به ابن أبي الإصبع ، وكذلك أصحاب شروح البديعيات ، كما أشار السيوطي إلى ذلك[٤]، ومثل للأول بقول حسان بن ثابت :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ∴ ثم الأنوف من الطراز الأول

وللثاني بقول ابن شرف القيرواني:

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ∴ ملء المسامع والأفواه والمقل[٥]

وذكر السيوطي هذا الفن – أيضاً – في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن" و "معترك الأقران" بصيغة واحدة تحت اسم "حسن النسق" ، واكتفى بالتعريف الثاني الذي توافق فيه مع ابن أبي الإصبع فعرفه بقوله : " وهو أن يتكلم المتكلم بكلمات متواليات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، بحيث إذا أفردت كل جملة منها قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها[٦].

ومثل له بالآية القرآنية التي اقتصر عليها ابن أبي الإصبع وهي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٧].

---

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٠.
(٢) المصدر السابق ، الصفحة ذاتها .
(٣)المصدر السابق ، الصفحة ذاتها.
(٤)المصدر السابق ، الصفحة ذاتها.
(٥)المصدر السابق ، الصفحة ذاتها.
(٦) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣ /٢٧٦ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣٠٧.
(٧) هود : آية ٤٤ .

ونقل – أيضاً – تعليق ابن أبي الاصبع على هذه الآية بتصرف فقال: "فإنها جمل معطوف بعضها على بعض بواو والنسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ، من الابتداء بالاسم الذي هو انحسار الماء عن الأرض ، المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة، من الإطلاق من سجنها ، ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك ؛ من دفع أذاه بعد الخروج ، ومنع إخلاف ما كان بالأرض ، ثم الإخبار بذهاب الماء بعد انقضاء المادتين الذي هو متأخر عنه قطعاً، ثم بقضاء الأمر الذي هو هلاك من قدر هلاكه ، ونجاة من سبق نجاته، وأخر عما قبله؛ لأن علم ذلك لأهل السفينة بعد خروجهم منها، وخروجهم موقوف على ما تقدم، ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف ، وحصول الأمن من الاضطراب ، ثم ختم بالدعاء على الظالمين ؛ لإفادة أن الغرق وإن عم الأرض ، فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه"[١].

ويبدو أن تأثير " السيوطي" على من جاء بعده كان جلياً، فقد نقل "ابن معصوم المدني" الرأيين السابقين، ونقل تعليق السيوطي
ق على الآية القرآنية نقلاً حرفياً ..[٢] .

(١)الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج٣ صـ٢٧٦ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ج١ صـ٣٠٧.
(٢) ينظر / أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ج٦ صـ١٣٢ ، ١٣٣.

المبحث السابع
الفرائد

قال ابن منظور : الفرد : الذي لا نظير له ، والجمع أفراد ، والفريد والفرائد: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، واحدته فريدة ، والفريد: الدرر إذا نظم وفصل بغيره ، وقيل : الفريد : الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها ، وفرائد الدر : كبارها(١).

والفرائد لون بديعي من مخترعات "ابن أبي الإصبع" ، وعرفه بأنه "إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد ، تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته ، حتى أن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها"(٢).

وأتى له بعدة نماذج من القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾(٣)، وقوله : ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا ﴾(٤)

ومن النماذج الشعرية قول أبي نواس:

وكأن سعدي إذ تودعنا ∴ وقد اشرأب الدمع أن يكفا

فلفظه "اشرأب" من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور .

وكقوله أيضاً:

حتى إذا ما غلا ماء الشباب لها ∴ وأنعمت في تمام الجسم والعصب

فاستعارة الغليان لماء الشباب من الفرائد البديعة(٥).

وتبعه في ذلك من جاءوا بعده مثل "ابن حجة الحموي" ، فقد ذكر الفرائد ، وقال عنها إنها "نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأن المراد منه

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (فرد)
(٢) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع المصري ، ٥٧٦/٤.
(٣) يوسف : من الآية ٥١.
(٤) يوسف : من الآية (٨٠)
(٥) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، صـ٥٧٦ ، ٥٧٧.

أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء ، تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد ، وتدل على فصاحة المتكلم بها ، بحيث أن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها"(١).

ثم أتى بعدة نماذج قرآنية ، منها قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾(٢) ، فقوله تعالى "الرفث" فريدة لا يقوم غيرها مقامها . وكقوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾(٣)، فقوله تعالى : ﴿ وأهش بها على غنمي ﴾ فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها(٤).

وإذا كان "ابن أبي الإصبع" هو أول من أطلق على هذا اللون البديعي اسم "الفرائد" ، إلا أن بعض البلاغيين القدامى مثل "ابن سنان الخفاجي" و "ابن الأثير" قد تحدثوا عن الكلمة وتأثيرها وقيمتها أثناء حديثهم عن فصاحة الكلمة المفردة ، ولكنهم لم يسموا ذلك "الفرائد"(٥).

وجاء "جلال الدين السيوطي" وعرض هذا اللون البديعي في درسه البلاغي ، وهو عنده مختص بالفصاحة دون البلاغة (٦)، وعرفه بقوله : "أن يأتي بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد ، وتدل على فصاحة المتكلم بها، بحيث لو سقطت لم يسد غيرها مسدها"(٧).

وفي إطار التمثيل أورد له نموذجين من القرآن الكريم ، هما اللذان قد أتى بهما"ابن حجة الحموي" ونقل منه تعليقه عليهما حرفياً ، ولم يأت له بنماذج من الشعر.

---

(١) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٣٧٢.
(٢) البقرة من الآية ١٨٧.
(٣) طه الآية : ١٨
(٤) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي، صـ٣٧٣.
(٥) ينظر سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، صـ٥٩ ، ٦٠، المثل السائر ، ابن الأثير ، ١ /٦٤ ، ٦٥ .
(٦) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١١.
(٧) السابق ، صـ٤١١.

وتحدث السيوطي – أيضاً – عن هذا اللون البديعي في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن" و "معترك الأقران" بصيغة واحدة ، وعرفه بقريب مما عرفه به في "عقود الجمان" فقال : "هو مختص بالفصاحة دون البلاغة ؛ لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد؛ وهي الجوهرة التي لا نظير لها ، تدل على عظم فصاحة الكلام، وقوة عارضته ، وجزالة منطقه ، وأصالة عربيته ، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها"(١).

وفي إطار التمثيل أورد الآيات القرآنية التي ذكرها "ابن أبي الإصبع" في كتابيه "تحرير التحبير"(٢) و "بديع القرآن" (٣) فقال : " ومنه لفظ "حصحص" في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ (٤) و"الرفث" في قوله:﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ﴾(٥)، ولفظة "فزع" في قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ (٦) و "خائنة الأعين" في قوله :﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ ﴾ (٧) ، وألفاظ قوله : ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ (٩) .

وجاء "ابن معصوم المدني" فأخذ تعريف "الفرائد" ومعظم النماذج القرآنية التي جاء بها "السيوطي" ، ونقها بنفس الطريقة التي عرضت بها في "الاتقان" و في "المعترك"(١٠).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٢٧٨-، ٢٧٩ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣٠٩ ، ٣١٠.

(٢) ينظر / تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، صـ٥٧٦.

(٣) ينظر / بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع ، صـ٢٨٧.

(٤) يوسف : من الآية ٥١.

(٥) البقرة : من الآية ١٨٧

(٦) سبأ : من الآية ٢٣

(٧) غافر : من الآية ١٩.

(٨) يوسف من الآية ٨٠

(٩) الصافات : الآية ١٧٧. ينظر الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣ /٢٧٨-، ٢٧٩، معترك الأقران ، السيوطي ،
١ /٣٠٩، ٣١٠.

(١٠) ينظر / أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٥ /٢٦٧.

المبحث الثامن

التنكيت

قال المدني : "التنكيت في اللغة مصدر نكَّت ، إذا أتى بنكتة ، وأصله من النكت ، وهو أن تضرب في الأرض بقضيب ونحوه فتؤثر فيها؛ لأن المتكلم إذا أتى في كلامه بدقيقة احتاج السامع في استخراجها إلى فضل تأمل وتفكر ينكت معه الأرض، كما هو شأن المتأمل"(١) .

والتنكيت فن بديعي ذكره "أسامة بن منقذ" ، وعرفه بقوله : "هو أن تقصد شيئاً دون أشياء لمعنى من المعاني ، ولولا ذلك لكان خطأ من الكلام وفساداً في النقد"(٢).

ثم أتى بنماذج لهذا الفن من القرآن الكريم والشعر ، فمن الأول قال : "سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾(٣)، لم لم يقل: رب

الثريا ؟ فقال: كان قد ظهر في العرب رجل يقال له ابن أبي كبشة ، عبد الشعري ؛ لأنها أكبر نجم في السماء ، فقصدها الله تعالى دون النجوم؛ لأنها عبدت ولم تعبد الثريا"(٤).

ومن نماذجه الشعرية التي أوردها "أسامة بن منقذ" أن "الأصمعي" سئل عن قول الخنساء:

يذكرني طلوع الشمس صخراً ∴ وأذكره لكل غروب شمس

---

(١) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٣٥٣/٥.
(٢) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، صـ٥٦.
(٣) النجم آية : ٤٩.
(٤) السابق الصفحة نفسها

لم خصت طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار؟ فقال: لأن وقت الطلوع وقت الركوب إلى الغارات، ووقت الغروب وقت قرى الضيفان ، فذكرته في هذين الوقتين مدحاً له بأنه كان يغير على أعدائه، ويقري أضيافه"(١).

وأخذ "ابن أبي الإصبع" تعريف "ابن منقذ" للتنكيت وأضاف إليه ما يوضحه فقال: "هو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون أشياء كلها يسد مسده ، لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر دون ما يسد مسده، ولولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً عند أهل النقد"(٢).

كما نقل بعض ما أتى به "أسامة بن منقذ" من نماذج نثرية أو شعرية ، وأضاف إليها نماذج أخرى من القرآن الكريم والشعر(٣).

وكذلك "ابن حجة الحموي" ، فبعد أن نقل تعريف "ابن أبي الإصبع" للتنكيت، ونقل كثيراً من الأمثلة القرآنية والشعرية التي أوردها قال : "هذا النوع أعني التنكيت يستحق لغرابته أن يعد مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع(٤).

وجاء السيوطي وتأثر كثيراً بمن سبقوه وخاصة بما ذكره "ابن أبي الإصبع" تعريفاً وتمثيلاً لفن التنكيت ، عرفه بقوله : "أن يقصد إلى لفظ يسد غيره مسده ، لولا نكتة فيه ترجح اختصاصه بالذكر لكان القصد إليه دون غيره خطأ"(٥).

ومثل له بالآية (٤٩) من سورة (النجم) وهي ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ ونقل تعليق "ابن أبي الإصبع" عليها فقال : "خص "الشعري"

(١) السابق صـ٥٧.
(٢) تحرير التحبير ، ابن أبي الاصبع ، ٤٩٩/٤.
(٣) تحرير التحبير ، ابن أبي الاصبع ، ٥٠٠/١ – ٥٠٢.
(٤) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٣٧٥.
(٥) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١١

بالذكر دون سائر النجوم وهو رب كل شيء ، لأن من العرب من عبد الشعري، فأنزل الله ذلك رداً على من ادعى فيها الألوهية"[١].

ومثل "السيوطي" ببيت الخنساء السابق، ونقل تعليق "ابن أبي الإصبع" عليه فقال : "خصت هذين الوقتين بالذكر ، وإن كانت تذكره كل وقت لما فيهما من النكتة المتضمنة للمبالغة في الوصف بالشجاعة والكرم؛ لأن طلوع الشمس وقت الغارات وغروبها وقت وقود النار للقرى"[٢] .

وجعله "السيوطي" مختصاً بالفصاحة دون البلاغة مثله في ذلك مثل "الفرائد" ، وعلل لذلك في تعريفه للفرائد ؛ لأن اللفظة فيهما "تدل على فصاحة المتكلم بها ، بحيث لو سقطت لم يسد غيرها مسدها"[٣].

وتحدث "السيوطي" عن التنكيت – أيضاً – في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن " و "معترك الأقران" بصيغة واحدة دون تغيير في أحدهما ، وعرفه بقوله : " أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره ، مما يسد مسده ، لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه" [٤].

وفي إطار التمثيل نرى السيوطي قد كرر المثال القرآني الذي ذكره في كتابه "شرح عقود الجمان" ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ [٥]

وكرر أيضاً التعليق على الآية بعرض سبب نزولها.

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤١١.
(٢) السابق الصفحة ذاتها .
(٣) السابق الصفحة ذاتها .
(٤) الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣ /٣٠٠ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٢٦٨.
(٥) النجم : الآية ٤٩.

المبحث التاسع

السجع

تعريفه :

قال صاحب لسان العرب : سجع يسجع سجعا : استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضا، والسجع الكلام المقفى، والجمع : أسجاع وأساجيع، وكلام مسجع. وسجع يسجع سجعا وسجّع تسجيعا : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجّاعة وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه، كأن كل كلمة تشبه صاحبتها.

قال ابن جنى : سمى لاشتباه أواخره وتناسب فواصله، وسجع الحمام : هدل على جبهة واحدة، وسجع الحمامة : موالاة صوتها على طريق واحد(١).

والسجع فن بديعى معروف ومشهور فى الأدب العربى ، وهناك من سماه " تسجيعا " أمثال قدامة بن جعفر(٢)، وعبد الواحد الزملكانى(٣)، وابن أبى الإصبع(٤)، وبدر الدين بن مالك(٥)، ويحيى بن حمزة العلوى(٦).

عرفه ابن الأثير بقوله : " وحده أن يقال تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد"(٧)، وهو ما قاله الخطيب القزوينى فى تعريف السجع بأنه : "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد "(٨) ولهذا جعل السكاكى "الإسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر"(٩).

وجاء السيوطى وعرض له فى كتاباته البلاغية، وعرفه بقوله : " السجع مأخوذ من سجع الحمام، وهو عند أهل الفن تواطؤ الفاصلتين من النثر على

(١) لسان العرب، ابن منظور المصرى، مادة " سجع ".
(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، صـ٦٠.
(٣) التبيان فى علم البيان، عبد الواحد الزملكانى صـ١٧٨.
(٤) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٣٠٠/٢.
(٥) المصباح، بدر الدين بن مالك صـ١٦٨.
(٦) الطراز، يحيى بن حمزة العلوى ١٨/٣.
(٧) المثل السائر، ابن الأثير ٢١٠/١.
(١) الإيضاح، الخطيب القزوينى ٢٩٦.
(٩) مفتاح العلوم، السكاكى صـ٢٠٣.

حرف واحد، وهو معنى قولهم " أى السكاكى " السجع فى النثر كالقافية فى الشعر "[1].

موقف العلماء من السجع :

لقد تضاربت أقوال العلماء حول موقفهم من السجع بين الاستهجان والاستحسان .

ومن الذين خاضوا هذه المعركة ابن الأثير، فبعد أن عرف السجع قال: " وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا لو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير، حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعا مسجوعة، كسورة القمر، وغيرهما، وبالجملة لم تخل منه سورة من السور "[2].

وذكر ابن الأثير أيضا أنه " قد ورد على هذا الأسلوب من كلام النبى ﷺ شئ كثير... ومن ذلك ما رواه عبد الله بن سلام، فقال : لما قدم رسول الله ﷺ، فجئت فى الناس لأنظر إليه، فلما تبيّنت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب، فكان أول شئ تكلم به أن قال : " أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام "[3].

ثم عرض رأى من رفض السجع بل وذمه مفنداً دليلهم، فقال : " فإن قيل : إن النبى ﷺ قال لبعضهم منكراً عليه وقد كلمه بكلام مسجوع : " أسجعا كسجع الكهان " ؟ ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبى ﷺ. فالجواب عن ذلك أنا نقول : لو كره النبى ﷺ السجع مطلقا لقال : أسجعا ؟ ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا النصل لم كان، فلما قال : " أسجعا كسجع الكهان " صار المعنى معلقا على أمر، وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه. فعلم أن

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٢.
(٢) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢١٠.
(٣) المثل السائر ، ابن الأثير ١/٢١٠، ٢١١.

إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وإن لم يذم السجع على الإطلاق "[١].

واستمر ابن الأثير فى سوق الأدلة على تفنيد رأى الرافضين فقال : إن " النبى ﷺ قد نطق به فى كثير من كلامه، حتى أنه غير الكلمة عن وجهها إتباعا لها بأخواتها من أجل السجع، فقال لابن ابنته عليهما السلام : " أعيذه من الهامة والسامة، وكل عين لامه "، وإنما أراد مُلِمةَ ؛ لأن الأصل فيها من " ألم " فهو " مُلِم " [٢].

وجاء السيوطى، وأدلى دلوه فى هذه القضية بقوله عن السجع : " ومنهم من قبحه ؛ لحديث : " أسجعا كسجع الجاهلية "[٣] ورد بأنه إنما أنكر سجع الجاهلية، لا مطلق السجع"[٤].

وفى هذا الإطار عرض قول " ابن النفيس : ويكفى فى حسنه ورود القرآن به، ولا يقدح فى ذلك خلوه فى بعض الآيات ؛ لأن الحسن قد يقتضى المقام الانتقال إلى أحسن منه "[٥].

ثم عرض السيوطى قول حازم القرطاجنى : " من الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف غير متقاربة فى الطول والقصر، لما فيه من التكلف إلا ما يقع الإلمام به فى النادر من الكلام. ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام فى قالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدا. ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام، فقد يدعو إلى

(١) السابق ٢١١/١.
(٢) السابق ٢١١/١.
(٣) الجامع الكبير : ١٤١/١٧، صحيح ابن حبان : ٣٧١/١٣ وفيهما: " السجع كسجع الجاهلية".
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٢.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى، صـ٤١٢.

التكلف، فرئى ألا يستعمل فى جملة الكلام،وألا يخلى الكلام منه جملة، وأنه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف "[1].

القرآن والسجع :

لم يفرق ابن الأثير بين إطلاق السجع على ما جاء منه فى القرآن أو جاء فى كلام البشر، فنراه يقول : " إن أكثر القرآن مسجوع، حتى أن السورة لتأتى جميعها مسجوعة، وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار، والسجع لا يواتى فى كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار، فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب "[2].

أما السيوطى فقد عرض هذه القضية بالتفصيل فى كتابيه " الإتقان فى علوم القرآن " و معترك الأقران، وعرض آراء بعض من سبقه من العلماء فى هذا المجال، حتى يصل إلى حكم صائب ترضى عنه نفسه، خاصة وأن القضية تدور حول جانب يمس القرآن العظيم.

وفى هذا الإطار عرض السيوطى رأيا لمن يرون أن الفاصلة خاصة بالقرآن، وأنها تقع " عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ؛ وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عنده الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينهما، وأخذا من قوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[3].

وأكد على أن الفواصل " لا يجوز تسميتها قوافى إجماعا ؛ لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه، وخاصة فى

(١) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٢٩٥/٣.
(٢) المثل السائر، ابن الأثير ٢١٤/١.
(٣) هود : من الآية (١)، الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٢٩١/٣، ٢٩٢.

الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه، يمتنع استعمال الفاصلة فى الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه "[١].

ثم عرض السيوطى سؤالا مؤداه : هل يجوز استعمال السجع فى القرآن ؟ ولكى يجيب على هذا السؤال استعرض آراء العلماء، وأوضح أن هناك خلافا بينهم فى هذا الأمر، وذكر أن رأى " الجمهور على المنع ؛ لأن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن أن يستعار لشئ منه لفظ أصله مهمل ؛ ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ؛ ولأن القرآن من صفاته تعالى، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها "[٢].

وذكر – أيضا – رأى أبى الحسن الرمانى فى هذا الأمر فقال : " قال الرمانى فى إعجاز القرآن : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال : فى القرآن سجع، وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحال المعنى عليه، والفواصل التى تتبع المعانى، ولا تكون مقصودة فى نفسها. قال : ولذلك كانت الفواصل بلاغة، والسجع عيبا "[٣]. وأشار إلى أن أبا بكر الباقلانى قد تبعه فى ذلك [٤].

ويعرض السيوطى رأيا لابن سنان الخفاجى يرد فيه على الرمانى، ويثبت السجع فى القرآن فيقول : إن " قول الرمانى : إن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط ؛ فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى – وهو غير مقصود – فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن أراد به ما تقع المعانى تابعة له – وهو مقصود متكلف – فذلك عيب، والفواصل مثله"[٥].

(١) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٢٩٢/٣.
(٢) السابق ٢٩٢/٣.
(٣) الإتقان علوم القرآن، السيوطي ٢٩٢/٣.
(٤) السابق ٢٩٢/٣.
(٥) معترك الأقران، السيوطى ٢٥/١، ٢٦.

ويستمر الخفاجى فى عرض رأيه فيقول : " وأظن الذى دعاهم إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا، رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض فى التسمية قريب، والحقيقة ما قلناه، والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل "(١) .

واستمر السيوطى فى عرض آراء الرافضين لإطلاق السجع على القرآن، فذكر رأى ابن دريد الذى يقول فيه :" لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز، لجاز أن يقولوا : شعر معجز، وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر ؛ لأن الكهانة تنافى النبوات بخلاف الشعر، وقد قال ﷺ " أسجع كسجع الكهان، فجعله مذموما "(٢).

ويؤكد على نفى إطلاق السجع على ما ورد على صورته فى القرآن الكريم فيقول : " وما توهموا أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو، لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى السجع من القرآن ؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى، وفرق بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود منه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع، كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى "(٣).

(١) السابق ٢٦/١.
(٢) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٢٩٣/٣.
(٣) السابق الصفحة ذاتها.

ويدلل ابن دريد على رأيه فيقول : " وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط، من أخل به وقع الخلل فى كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا، وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة، بعضها متدانى المقاطع، وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ؛ وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود "(١).

وفى إطار رؤية السيوطى فى عرض الرأى والرأى المضاد فى هذه القضية قال : "وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع فى القرآن، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام، وأنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة، كالجناس والالتفات ونحوهما، قال : وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون، ولمكان السجع قيل فى موضع﴿ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾(٢)، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون كله، قيل ﴿ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (٣)، قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر ؛ لأنه لا يجوز أن يقع فى الخطاب إلا مقصودا إليه، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذى نسميه شعرا ؛ وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم، كما يتفق وجوده من الشاعر، وأما ما جاء فى القرآن من السجع فهو كثير، لا يصح أن يتفق غير مقصود إليه "(٤).

ويذكر السيوطى رد ابن دريد على هؤلاء الذى قال فيه : " وأما ما ذكره من تقديم موسى على هارون فى موضع، وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام، فليس بصحيح ؛ بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة

(١) السابق ٢٩٣/٣.
(٢) طه : من الآية (٧٠).
(٣) الشعراء : من الآية (٤٨).
(٤) الاتفاق فى علوم القرآن، السيوطى ٢٩٢/٣.

بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا، وذلك من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة، ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة، تنبيها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكرراً، ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة، وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدى إلى تلك المعانى ونحوها، فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها، إظهار الإعجاز دون السجع "[1].

واستمر ابن دريد فى الرد عليهم وتفنيد رأيهم بقوله : " فبان بذلك أن الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة موقع النظائر التى تقع فى الأسجاع، لا تخرجها عن حدها، ولا تدخلها فى باب السجع، وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء، فكان بعض مصاريعه كلمتين، وبعضها أربع كلمات، ولا يرون ذلك فصاحة، بل يرونه عجزا، فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل، يزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن"[2].

أما رأى السيوطى فى هذه القضية فهو غير واضح المعالم، فهو فى كتابه " شرح عقود الجمان " يرى أن من الأدب ألا نطلق السجع على فواصل القرآن، فيقول : " واختلف هل يجوز أن يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا؟ والأدب المنع ؛ لقوله تعالى :﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾[3]، فسماه فواصل، فليس لنا أن نتجاوزه، ولأنه يشرف عن أن يشارك الكلام الحادث فى اسم السجع، ولأن السجع فى الأصل هدير الحمام ونحوه، والقرآن يشرف عن أن يستعار له لفظ فى أصل الوضع لطائر " [4].

وفى كتابه " الإتقان فى علوم القرآن " تحت عنوان " تنبيهات " يذكر السجع مقرونا بآيات من القرآن، فيقول : " قال أهل البديع : أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه، نحو :﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴾[5]، ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو :﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ

(١) السابق ٢٩٣/٣، ٢٩٤.
(٢) الاتقان في علوم القرآن السيوطي ٢٩٤/٣.
(٣) هود : من الآية (١).
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٢.
(٥) الواقعة : الآيات (٢٨: ٣٠).

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[1]، أو الثالثة نحو :﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾[2].

وفى إطار حديثه – أيضا – عن أحسن السجع يقول : " أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشئ، وأقله كلمتان نحو :﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[3] الآيات،﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾[4]، الآيات﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾[5]، الآيات ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾[6]، الآيات، والطويل ما زاد عن العشر، كغالب الآيات، وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر [7] وذكر " أنه لا يحسن أن يؤتى بقرينة أقصر مما قبلها بكثير، ويجوز بقدر يسير "[8].

وعرض السيوطى رأى من سبقوه فى هذا، فذكر رأى ابن سنان الخفاجى حين قال : " وقال الخفاجى : لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى "[9]، وكذلك رأى ابن الأثير الذى قال فيه : " الأحسن فى الثانية المساواة، وإلاّ فأطول قليلا، وفى الثالثة أن تكون أطول "[10].وقال غيره : الأحسن فى الفقر المختلفة أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر يسير، لئلا يبعد على السامع وجود القافية، فتذهب اللذة "[11].

بناء الأسجاع :

(١) النجم : الآيتان (١، ٢).
(٢) الحاقة : الآيات (٣٠: ٣٢)، الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٣١٣/٣.
(٣) المدثر : الآيتان (١، ٢).
(٤) المرسلات : الآية (١).
(٥) الذاريات : الآية (١).
(٦) العاديات : الآية (١).
(٧) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٣١٣/٣.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٣.
(٩) السابق الصفحة ذاتها.
(١٠) السابق الصفحة ذاتها.
(١١) السابق الصفحة ذاتها.

الأسجاع مبنية على سكون الأعجاز، أى أواخر فواصل الفقرات، لأن الغرض هو التواطؤ والمزاوجة بينها، ولا يتم ذلك إلا بالوقف وبالسكوت، وفى هذا يقول صاحب الإيضاح : " وأعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها، لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك فى كل صورة إلا بالوقف – ألا ترى أنك لو وصلت قولهم : ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت، لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب فيفوت الغرض من السجع "(١).

وهذا ما ذكره شهاب الدين الحلبى(٢)، وعرض المثال نفسه الذى ذكره القزوينى، ثم جاء ابن حجة الحموى فلم يخرج عما قالاه، وأتى بالمثال نفسه، غير أنه زاد عليهم بتوضيحه بقوله : " ألا ترى أنهم لو بينوا الإعراب فى مثل قولك : ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت، للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة، فيفوت غرض الاتفاق "(٣).

ولم يخرج السيوطى على ما قاله سابقوه، فقال : " يجب بناء الأعجاز، أى أواخر الأسجاع على السكون ؛ ليتم التواطؤ والتزاوج، كقولهم : ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت "(٤).

أقسام السجع

السجع فى كلام العرب ليس على صورة واحدة، وإنما يأتى فى الكلام منظومه ومنثوره على عدة أقسام أو صور، حصرها السيوطى فى ستة أقسام، أما السجع الخاص بالمنظوم فهو ثلاث صور، ويمكن عرض أهم ملامح تلك الأقسام أو الصور فيما يلى :

(١) الإيضاح، الخطيب القزوينى صـ٢٩٧، ٢٩٨.
(٢) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٧.
(٣) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٥١٧.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٣.

أولاً : المطرف :

السجع المطرف تتحقق صورته " إذا وجدت فى آخر جملتين أو أكثر كلمات متفقة الروى، ولكنها مختلفة من حيث الوزن وعدد الحروف "[١].

وعرفه شهاب الدين الحلبى بقوله : " أن يراعى الحرف الأخير فى كلتا قرينتيه من غير مراعاة الوزن "[٢] وسماه ابن قيم الجوزية " المتطرف "، وعرفه " بأن تتفق الكلمتان الأخيرتان فى الحرف الأخير دون الوزن "[٣].

وحده عند السيوطى : " أن تختلف الفاصلتان فى الوزن "[٤]، وهذا التعريف كما يبدو فيه إبهام، يحتاج إلى تكملة لتوضحه، واستدرك السيوطى هذا، فعرفه فى كتابه " معترك الأقران بقوله : " أن تختلف الفاصلتان فى الوزن، ويتفقا فى حروف السجع "[٥]

وفى إطار التمثيل له ذكر المثالين اللذين وردا فى معظم كتب البلاغة، وهما قوله تعالى ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[٦]، وقول أحد البلغاء " جنابه محط الرحال ومخيم الآمال "[٧].

ففى المثال الأخير نجد كلمتى " رحال " و" آمال " قد اتفقتا فى حرف الروى وهو "اللام" بعد الألف، ولكنهما مختلفتان من حيث الوزن، فإن كلمة " رحال " على وزن "فعال" بينما كلمة " آمال " على وزن " أفعال ".

ثانياً : المتوازى :

السجع المتوازى : هو أن تتفق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها فى الوزن والروى وتتحقق هذه الصورة من " التسجيع إذا وجدت فى جملتين أو أكثر كلمات متفقة فى الوزن وعدد الحروف والروى "[٨].

---

(١) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى صـ١٠٦.
(٢) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٥٠.
(٣) الفوائد المشوق، ابن قيم الجوزية صـ٢٢٦، ٢٢٧.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٣.
(٥) معترك الأقران، السيوطى ٣٩/١.
(٦) نوح : الآيتان (١٣، ١٤).
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٣.
(٨) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى صـ١٠٦.

ولقد أشار إلى هذا القسم – أيضا – بعض البلاغيين القدامى، فابن قيم الجوزية عرفه بأنه " رعاية الكلمتين الأخيرتين فى الوزن والروى "، وأشار إلى أن " ذكر الروى فى النثر توسعه فى الكلام، وإلاّ فالروى مخصوص بالشعر "[١]، وإلى مثل هذا ذهب شهاب الدين الحموى، فقد عرفه بقوله : " وهو أن يراعى فى الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن، مع اتفاق الحرف الأخير منهما "[٢].

والملاحظ أنهم جميعا قد اتفقوا فى ذكر النموذجين أحدهما من القرآن الكريم والآخر من الحديث الشريف.

وجاء جلال الدين السيوطى وأشار إليه كغيره إشارة سريعة، وعرفه بأنه " هو ما اتفقا وزنا، ولم يكن ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية فى الوزن والتقفية"[٣].

وعلق المرشدى على تعريف السيوطى بقوله : إن " ذلك صادق بصور، إحداها أن لا يوجد لفظ فى مقابل بعض ألفاظ الفقرة "[٤]، ومثل له بالحديث الشريف الذى جعله السيوطى نموذجا، وهو قوله ﷺ : " اللهم أعط كل منفق خلفا، وكل ممسك تلفا "[٥]، و " الثانية أن يوجد لكن غير موافق له فى الوزن والتقفية معا "[٦]،وأتى بالنموذج القرآنى الذى ذكره السيوطى وهو قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾[٧].

ثالثا : **المرصع** :

السجع المرصع عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها من الفقرة الثانية، أو عجز البيت، أشار إليه كثير من

(١) الفوائد المشوق، ابن قيم الجوزية صـ٢٢٦.
(٢) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٥٠.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٤.
(٤) شرح المرشدى على عقود الجمان، المرشدى ١٨٠/٢.
(٥) صحيح البخارى ٥٢٢/٢، ونصه " ما من يوم يصبح فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا ".
(٦) شرح المرشدى على عقود الجمان، المرشدى ١٨٠/٢.
(٧) الغاشية : الآيتان (١٣، ١٤).

البلاغيين، وجاءت تعريفاتهم له تدور حول تعريف ابن شهاب الدين الحلبى " بأن تكون الألفاظ – فى الفقرتين او المصراعين – مستوية الأوزان متفقة الأعجاز "[١].

واسم " المرصع " عند السيوطى " أحسن من قول التلخيص : " الترصيع " كما قال الشيخ بهاء الدين ؛ لموافقة قولنا : مطرف ومتوازى "[٢] وليس السبكى وحده هو الذى أطلق عليه " الترصيع " فقد سبقه إلى ذلك شهاب الدين النويرى [٣]، وشهاب الدين الحلبى[٤] والخطيب القزوينى[٥]، وغيرهم.

وعرف السيوطى السجع المرصع بأنه " ما كان فى الأولى مقابلا لما فى الثانية وزنا وتقفية ؛ كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[٦]، ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[٧]، وقول الحريرى : يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه "[٨].

وأشار السيوطى إلى أن السجع المرصع يزداد حسنا عند ما يحمل فى طياته محسنا بديعيا آخر، ويبدو ذلك فى قوله : " فإن كان معه زيادة طباق أو مقابلة أو جناس زاد فى الحسن "[٩]، وأتى لكل واحد من الثلاثة بمثال.

فالمرصع مع الطباق " كقول الرسول ﷺ : " الطاعم الشاكر كالصائم الصابر "[١]، رواه الترمذى " والمرصع مع المقابلة كقول الشاعر" ابن النبيه":

---

(١) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٥٠.
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٤.
(٣) نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ١٠٤/٧.
(٤) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٥٠.
(٥) الإيضاح، الخطيب القزوينى صـ٢٩٦.
(٦) الغاشية : الآيتان (٢٥، ٢٦).
(٧) الانفطار : الآيتان (١٣، ١٤).
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٤.
(٩) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٤.

فحريـــق جمـــرة ســـيفه للمعتـــدى ورحيـــق خمـــرة ســـيبه للمعتفـــى[٢]

فهذا البيت وقع الترصيع فى جميع ألفاظه، فإن المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة، وبين سيفه وسيبه، وبين المعتدى، والمعتفى، فلم تأت فى صدره لفظة إلا ولها أخت تقابلها فى العجز.

والمرصع مع الجناس كقولهم : إذا قلت الأنصار، كلت الأبصار، وقولهم : ما وراء الخلق الذميم إلا الخلق الدميم "[٣].

رابعًا : **المصرع** :

السجع المصرع هو أحد أقسام السجع عند بعض البلاغيين، ويسمى أحيانا " التصريع " وقد سبق علماء العروض البديعيين إلى معرفته، فقد اشترط قدامة بن جعفر فى القوافى " أن تكون عذبة الحرف، سلسة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول فى البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكادون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتا أخر من القصيدة بعد البيت الأول وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره "[٤].

وعن علة التصريع يقول ابن رشيق : " وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليعلم فى أول وهلة أنه أخذ فى كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع فى أول الشعر، وربما صرَّع الشاعر فى غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى

---

(١) أخرجه الترمذى فى صفة القيامة والورع " ٢٤٨٦ ".
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٤.
(٣) السابق نفسه.
(٤) نقد الشعر، قدامة بن جعفر صـ٥١.

قصة أو من وصف شئ إلى وصف شئ آخر، فيأتى حينئذ بالتصريع إخبارا بذلك وتنبيها عليه، وقد استعمالهم هذا حتى صرَّعوا فى غير موضع تصريع"[١].

وفرق ابن أبى الإصبع المصرى بين التصريع العروضى والبديعى فقال : " التصريع على ضربين : عروضى وبديعى، فالعروضى عبارة عن استواء عروض البيت وضربه فى الوزن والإعراب والتقفية، بشرط أن تكون العروض قد غيرت عن أصلها لتلحق الضرب فى زنته، والبديعى استواء آخر جزء فى الصدر، وآخر جزء فى العجز فى الوزن والإعراب والتقفية، ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر "[٢].

وقد تحدث كثير من البلاغيين عن التصريع كابن سنان الخفاجى[٣]، وشرف الدين الطيبى[٤] وابن الأثير الذى قال عنه : " واعلم أن التصريع فى الشعر بمنزلة السجع فى الفصلين من الكلام المنثور.... وهو عندى ينقسم إلى سبع مراتب، وذلك شئ لم يذكره على هذا الوجه أحد غيرى "[٥].

وأدخل القزوينى التصريع فى السجع، وقال : " ومنه ما يسمى التصريع، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب "[٦].

وجاء السيوطى، وسماه " المصرع " وأدخله فى السجع – أيضا –، وعرفه بأنه " توافق آخر المصراع الأول والمصراع الثانى فى الوزن، والروى، والإعراب، وأليق ما يكون فى مطالع القصائد، كقول امرئ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(١) العمدة، ابن رشيق ١/١٧٤.
(٢) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٢/٣٠٥.
(٣) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى صـ٢٢١.
(٤) التبيان فى البيان، شرف الدين الطيبى صـ٢٩٨.
(٥) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢٥٨، ٢٥٩.
(٦) الإيضاح، الخطيب القزوينى صـ٢٩٨.

وقد يأتى فى الأثناء، كقوله فيها :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل[1]

وذكر السيوطى أنه نقل عن الإمام شرف الدين الطيبى صاحب التبيان تقسيمها إلى ثمانية أقسام[2]، وهى المراتب السبع التى ذكرها ابن الأثير بعينها وأمثلتها[3]، غير أن " الطيبى " وبعده " السيوطى " قد عدَّا نوعى المرتبة الخامسة عند ابن الأثير قسمين، فاكتملت الثمانية عندهما، وصياغة هذه الأقسام عندهما يتسم أسلوبها فى الأعم الأغلب بالغموض والاختصار ؛ لذا سوف أحاول موازنتها بالمراتب السبعة التى ذكرها ابن الأثير حتى ينكشف غموضها، وتتضح صورتها للقارئ.

القسم الأول : ويسمى الكامل، قال عنه السيوطى : " أن يكون " المصراع " مستقلا فى فهم المعنى "[4]، وهذا القسم جعله ابن الأثير فى المرتبة الأولى، وعرفه بقوله : " أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه فى فهم معناه، غير محتاج إلى صاحبه الذى يليه "[5]، ومثل له السيوطى بما جاء به الطيبى وابن الأثير، وهو قول المتنبى :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم[6]

القسم الثانى : ويسمى المستقل، قال عنه السيوطى :" أن يكون مستقلا، وله رابطة بالثانى "[7]، وهذا القسم يمثل المرتبة الثانية عند ابن الأثير، وعرفه بقوله :" أن يكون المصراع الأول مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الذى

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٤، ٤١٥.
(٢) السابق صـ٤١٥.
(٣) المثل السائر، ابن الأثير ٢٥٩/١-٢٦٢.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥.
(٥) المثل السائر، ابن الأثير ٢٥٩/١.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥، المثل السائر، ابن الأثير ٢٥٩/١.
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥.

يليه، فإذا جاء الذى يليه كان مرتبطا به "[1]،ومثل له السيوطى بما جاء به الطيبى وابن الأثير، وهو قول أبى تمام:

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم وأن ينظم الشمل المبدد ناظم[2]

القسم الثالث : ويسمى غير المستقل " الناقص "، قال عنه السيوطى: " أن يكون غير مستقل "[3]، وهذا القسم هو المرتبة الرابعة عند ابن الأثير، وعرفه بقوله : " أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه، ولا يفهم معناه إلاّ بالثانى، ويسمى التصريع الناقص، وليس بمرضى ولا حسن "[4]، ومثل له السيوطى بما جاء به الطيبى، وابن الأثير وهو قول المتنبى :

مغانى الشعب طيبا في المغانى بمنزلة الربيع من الزمان[5]

القسم الرابع : ويسمى المعلق، وعرفه السيوطى بقوله : " أن يكون معلقا على صفة فى أول الثانى "[6]،وهذا القسم يقابل المرتبة السادسة عند ابن الأثير، الذى عرفها بقوله : " أن يذكر المصراع الأول، ويكون معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول المصراع الثانى، ويسمى التصريع المعلق "[7]، ومثل له السيوطى بما مثل به الطيبى وابن الأثير وهو قول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل[8]

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢٥٩.
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥.
(٣) السابق الصفحة ذاتها.
(٤) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢٦٠.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥.
(٦) السابق، الصفحة ذاتها.
(٧) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢٦١.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥.

القسم الخامس : ويسمى الموجه، وعرفه السيوطى بقوله : " أن يكون لكل منهما فى التقدم معنى، وهو فى الحسن يلى الأول "[١]،ويقابل هذا القسم المرتبة الثالثة عند ابن الأثير الذى عرفه بقوله : " أن يكون الشاعر مخيراً فى وضع كل مصراع موضع صاحبه، ويسمى التصريع الموجه "[٢]، ومثل له السيوطى بنفس المثال الذى أتى به الطيبى وابن الأثير، وهو قول ابن الحجاج البغدادى :

من شروط الصبوح في المهرجان خفة الشرب مع خلو المكان[٣]

القسم السادس : ويسمى المكرر، وعرفه السيوطى بقوله : " أن يكون لفظ العجز حقيقة وهو مذموم "[٤]، وهو يقابل النوع الأول من المرتبة الخامسة عند ابن الأثير الذى عرفها بقوله:" أن يكون التصريع بلفظة حقيقية لا مجاز فيها،وهو أنزل الدرجتين "[٥]،

وقد أتى السيوطى بالمثال الذى أتى به الطيبى وابن الأثير، وهو قول عبيد بن الأبرص :

فكل ذى غيبة يئوب وغائب الموت لا يئوب[٦]

القسم السابع : ويسمى المكرر، ذكره السيوطى وعرفه بقوله :" أن يكون مجازا "[٧] وهو يقابل النوع الثانى من المرتبة الخامسة عند ابن الأثير

(١) السابق، الصفحة ذاتها.
(٢) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢٦٠.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٥.
(٤) السابق صـ٤١٦.
(٥) المثل السائر، ابن الأثير ١/٢٦١.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٦.
(٧) السابق الصفحة ذاتها.

الذى عرفها بقوله : " أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها"[١]، ومثل له السيوطى بنفس المثال الذى أورده الطيبى وابن الأثير، وهو قول أبى تمام :

فتى كان شربا للعفاة ومرتعى فأصبح للهندية البيض مِرْتعا[٢]

القسم الثامن : ويسمى المشطور، عرفه السيوطى بقوله : " أن يتخالف لفظ العجزين ويتوافقا فى الموازنة، وهو أقبح الكل "[٣]، وهذا القسم يقابل المرتبة السابعة عند ابن الأثير الذى عرفها بقوله : " أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته، ويسمى التصريع المشطور، وهو أنزل درجات التصريع وأقبحها"[٤]، ومثل له بما مثل به الطيبى وابن الأثير، وهو قول أبى نواس :

أقلنى قد ندمت على ذنوب وبالإقرار عدت من الجحود[٥]

وقال ابن الأثير معلقا على قول أبى نواس : " فصرع بحرف الباء فى وسط البيت، ثم قفاه بحرف الدال، وهذا لا يكاد يستعمل إلاّ قليلا نادرا "[٦].

خامساً : الموازنة :

هو لون من السجع تضاربت أقوال العلماء فى اسمه، واختلفت رؤاهم فى مدلوله، فقد أطلق عليه فخر الدين الرازى اسم " المتوازى "، وذلك حين قال : " أن يتفقا فى عدد الحروف، ولا يتفقا فى الحرف الأخير "[٧].

وكذلك شهاب الدين الحلبى، وشهاب الدين النويرى، فقد تحدثا عنه بصيغة واحدة، وعرفاه بقولهما : " هو أن يراعى فى الكلمتين الأخيرتين من

---

(١) المثل السائر، ابن الأثير ٢٦١/١.
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٦.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٦.
(٤) المثل السائر، ابن الأثير ٢٦١/١.
(٥) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٦.
(٦) المثل السائر، ابن الأثير ٢٦٢/١.
(٧) نهاية الإيجاز، الفخر الرازى صـ٣٤.

القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما "[١] وسمياه " المتوازن "، أما " الموازنة " عندهما فهى " المماثلة " عند السيوطى والقزوينى تعريفا وتمثيلا.

أما الخطيب القزوينى فقد أطلق على هذا اللون من السجع اسم " الموازنة "، وعرفه " بأن تكون الفاصلتان متساويتين فى الوزن دون التقفية"[٢].

وجاء جلال الدين السيوطى، وعرض هذا اللون من السجع واعتبره القسم الخامس من أقسامه، غير أنه تردد فى تحديد اسمه، ففى كتابه " شرح عقود الجمان " ذكره باسم " الموازنة " وعرفه بأن " تتساوى القرينتين فى الوزن دون التقفية "[٣].

ومثل له بالآيتين الكريمتين :﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[٤].

أما فى كتابه " معترك الأقران " و" الإتقان فى علوم القرآن "، فقد سماه " المتوازن " وعرفه بقوله : " أن يتفقا فى الوزن دون التقفية "[٥]، ومثل له بالآيتين الكريمتين التى ذكرا سابقا.

سادساً : المماثلة :

لقد اختلفت آراء العلماء حول مضمون " المماثلة "، وكذا الاسم الذى أطلق عليها، فقدامة بن جعفر قال عنها : " هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى، فيضع كلاما يدل على معنى آخر، وذلك المعنى والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه "[٦]، وأخذ أبو هلال العسكرى كلام قدامة، ووضعه تحت عنوان " المماثلة "، وهى عنده المثل أو ما يقرب من الكناية[٧].

(١) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ٤٩،نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ٨٩/٧.
(٢) الإيضاح، الخطيب القزوينى صـ٢٩٩.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٦.
(٤) الغاشية : الآيتان (١٥، ١٦).
(٥) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى ٣١١/٣، معترك الأقران، السيوطى ٣٩/١.
(٦) نقد الشعر، قدامة بن جعفر صـ١٨١.
(٧) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكرى صـ٣٥٣.

أما الباقلانى فجعلها ضربا من الاستعارة[١]، وأدخلها ابن رشيق فى التجنيس، وقال : " التجنيس ضروب كثيرة،منها المماثلة، وهى أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى"[٢]

وفسرها ابن أبى الإصبع تفسيراً آخر بقوله عنها : " هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها فى الزنة دون التقفية، كقوله تعالى﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾[٣]، فالطارق والثاقب وحافظ متماثلات فى الزنة دون التقفية "[٤].

وجاء حديث رشيد الدين العمرى وتعريفه لها على أنها قسم من أقسام السجع، وسماها " المتوازن "، وقال : " وليس هذا النوع مختصا بالنثر وحده، بل يمكن أن يرد فى الشعر أيضا... ويكون بأن ترد فى أول الجملتين أو آخرهما، أو فى أول المصراعين أو آخرهما كلمات تتفق مع بعضها من حيث الوزن، ولكنها تختلف فى حروف الروى"[٥]، ومثل بقوله تعالى ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٦].

أما شهاب الدين الحموى، وشهاب الدين النويرى، فقد سمياه " الموازنة "، وقالا عنه بصيغة واحدة : "... فإن راعى الوزن فى كلمات القرائن أو أكثرها وقابل الكلمة منها بما تعادلها وزنا كان أحسن... ويسمى هذا فى الشعر الموازنة "[٧]، ومثلا له بالآيتين السابقتين.

وقرنها الخطيب القزوينى بالموازنة بقوله : " فإن ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن، خص باسم المماثلة "[٨].

---

(١) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلانى صـ١١٩.
(٢) العمدة، ابن رشيق ٣٢١/١.
(٣) الطارق : الآيات (٢: ٤).
(٤) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٢٩٧/٢.
(٥) حدائق السحر، رشيد الدين العمرى صـ١٠٦.
(٦) الصافات : الآيتان (١١٧، ١١٨).
(٧) حسن التوسل، شهاب الدين الحموى، صـ٤٩، نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ٨٩/٧.
(٨) الإيضاح، الخطيب القزوينى، صـ٢٩٩.

وجاء السيوطى، واعتبر المماثلة قسما من التسجيع، وعرفها بقوله : " بأن يتساويا فى الوزن لا التقفية، ويكون أفراد الأولى مقابلة لما فى الثانية، على حد ما تقدم فى المتوازى، والمرصع، كقوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[1]، وقول أبى تمام :

مهـا الـوحش إلا أن هاتـا أو انـس قنـا الخـط إلا أن تلـك ذوابـل[2]

والسيوطى تردد هنا – أيضا – فى تحديد الاسم، فذكرها فى " شرح عقود الجمان " باسم " المماثلة "، أما فى كتابيه " الإتقان فى علوم القرآن " و" معترك الأقران " فقد ذكرها باسم " المتماثل "[3]، وعرفها بما يقرب من تعريفها السابق، ومثل بالآيتين الكريمتين السابقتين، ولم يأت بجديد فيهما سوى استخراج الشاهد من الآية وتوضيحه.

السجع بين النثر والشعر

أثار السيوطى أمراً لا خلاف على أهميته فى الدراسات الأدبية، والبلاغية، مؤداه الكشف عن مدى اختصاص النثر أو الشعر بالسجع، وفى هذا يقول : " وذهب بعضهم إلى أن السجع لا يختص بالنثر، بل قد يكون فى النظم، كقول أبى تمام :

تجلى به رشدى. وأثرت به يدى وفاض بـه ثمـدى، وأورى بـه زنـدى[4]

يقول " المرشدى " فى شرحه لعقود الجمان معلقا على هذا القول : " إن عبارة السيوطى مقلوبة، والصواب أن يقال : النثر غير مختص بالسجع ؛ لأن معنى اختصاص السجع بالنثر أن لا يكون شئ من النثر إلا سجعا، وهذا لا يقوله أحد، ومعنى اختصاص النثر بالسجع أن لا يكون السجع إلا نثراً، وهذا هو المقصود "[5].

(١) الصافات : الآيتان (١١٧، ١١٨).
(٢) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٦.
(٣) الإتقان فى علوم القرآن السيوطى ٣١١/٣، معترك الأقران، السيوطى ٤٠/١.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٧.
(٥) شرح المرشدى على عقود الجمان ١٨٣/٢، ١٨٤.

ولكى يثبت السيوطى صحة حكمه بدخول السجع فى الشعر، وأنه ليس مقصوراً على النثر أتى بعدة أنواع أو صور ؛ ليؤكد ما ذهب إليه، وذلك من خلال رؤية تطبيقية على نماذج شعرية.

النوع الأول : **التشطير** :

قال عنه ابن أبى الإصبع : " هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين، ثم يصرع كل شطر من الشطرين، لكنه يأتى بكل شطر مخالفا لقافية الآخر؛ ليتميز من أخيه فيوافق فيه الاسم المسمى "[١]، ثم أتى ببيتى مسلم بن الوليد، وأبى تمام اللذين سيذكران عند الحديث عن التشطير عند السيوطى.

ووافقه كثير من العلماء عما قاله عن التشطير، أمثال بدر الدين بن مالك[٢]، وشهاب الدين الحلبى[٣]، وشهاب الدين النويرى[٤]، وابن حجة الحموى[٥].

وعد الخطيب القزوينى التشطير من السجع، وقال : " هو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها "[٦] ومثل له بالنماذج التى أتى بها ابن أبي الإصبع والتى سيأتى ذكرها فيما بعد.

وجاء السيوطى وعرف التشطير بقوله : " وهو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعتين متفقتين فى الروى، وروى اللتين فى الصدر يخالف اللتين فى العجز "[٧]، ومثل له بقول أبى تمام :

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب

وقول مسلم بن الوليد :

موف على مهج في يوم ذى رهج ... كأنه أجلٌ يسعى إلى أملِ[٨]

(١) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٣٠٨/٢.
(٢) المصباح، بدر الدين بن مالك صـ٧٨.
(٣) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ١٠٥.
(٤) نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ١١٤/٧.
(٥) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٢١٥.
(٦) التوضيح، الخطيب القزوينى، صـ٢٩٨.
(٧) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٧.
(٨) السابق الصفحة ذاتها.

وفضل ابن أبى الإصبع بيت أبى تمام على بيت مسلم، حين قال : " وعندى أن بيت أبى تمام أولى من بيت مسلم بهذا الباب، لأنه عمد إلى كل شطر قدَّره بيتا وصرعه تصريعا صحيحا، وبيت مسلم شطره الأول مصرع تصريعا صحيحا، وشطره الثانى ليس بمصرع، لمخالفة روىّ وسطه روىّ آخره فى الإعراب "[1].

النوع الثانى : التسميط :

قال عنه ابن أبى الإصبع : " هو أن يعتمد الشاعر تصيير بعض مقاطع الأجزاء أو كلها فى البيت على سجع يخالف قافية البيت "[2]، ومثل له بقول مروان بن أبى حفصة :

هم القوم إن قالوا أصابوا، وإن دعوا أجابوا، وإن أعطوا أطابوا، وأجزلوا

وسمى هذا " تسميط البعض "[3].

وذكر أن هناك نوعا آخر " يسمى تسميط التقطيع، وهو أن يسجع جميع أجزاء التفعيل على روى يخالف روى القافية، كقولى :

وأسمر مثمر بمزهر نضر من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع أجزاء التفعيل فى هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذى هو قافية البيت "[4].

وأشار إلى التسميط كثير من العلماء، مثل شهاب الدين الحلبى [5]، وشهاب الدين النويرى[6]،وابن الأثير الحلبى[7]،وبدر الدين بن مالك[1]، ويحيى

(١) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٣٠٨/٢.
(٢) السابق ٢٩٥/٢.
(٣) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٢٩٥/٢.
(٤) السابق الصفحة ذاتها.
(٥) حسن التوسل، شهاب الدين الحلبى صـ١٠٤.
(٦) نهاية الأرب، شهاب الدين النويرى ٨٨/٧.
(٧) جوهر الكنز، ابن الأثير الحلبى صـ٢٥٢.

بن حمزة العلوى الذى أخرج التسميط من باب التسجيع بقوله:"اعلم أن من الناس من يعد هذا النوع من أنواع التجنيس،والحق ما قاله الخليل بن أحمد–رحمه الله تعالى–إنه مخالف لأنواع السجع"[٢].

أما السيوطى فقد أشار إليه بقوله : " ومنه نوع يسمى " التسميط "، ذكرته من زيادتى، وهو مثل " التشطير "، إلا أن السجعة الأولى من المصراع الثانى موافقة للتين فى المصراع الأول فى الروى "[٣]، ومثل له بعدة نماذج هى : " قول الصفى :

فالحق في أفق والشرك في نفق والكفر في فرق والدين في حرم

ومنه قول الآخر : وأتى ببيت مروان بن أبي حفصة السابق.

وقول شيخ الإسلام أبى الفضل ابن حجر :

خان الأمانة واستن الخيانة واستثنى الديانة جان ثمره العطب[٤]

وأشار السيوطى إلى تقسيم بدر الدين بن مالك للتسميط فقال : " وسلك ابن مالك فيه طريقة أخرى، فقسمه إلى تسميط وتقطيع وتبعيض[٥] ؛ فالأول : ما كان كل الأجزاء فيه على سجع يخالف الروى "[٦]، وذكر له صورتين، أشار إلى الأولى بقوله : " تارة تتفق الأجزاء فى التفعيل، وتختص باسم " الموازنة"[٧]، ومثل لها ببيت امرئ القيس :

---

(١) المصباح، بدر الدين بن مالك صـ١٧٠.
(٢) الطراز، يحيى العلوى ٩٧/٣.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٧.
(٤) السابق صـ٤١٧، ٤١٨.
(٥) قسمه بدر الدين بن مالك إلى ضربين هما " تسميط تقطيع " و" تسميط تبعيض "، ينظر المصباح، بدر الدين بن مالك صـ١٧٠، ١٧١.
(٦) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٨.
(٧) السابق الصفحة ذاتها.

أفـــاد فجـــاد وســـاد فـــزاد وقـــاد فـــذاد وعـــاد فأفـــضل[١]

وأشار على الصورة الثانية بقوله : " وتارة لا "[٢]، أى لا تتفق الأجزاء فى التفعيل، ومثل له ببيت ابن أبى الإصبع السابق : " وأسمر مثمر بمزهر..."، وهاتان الصورتان أطلق عليهما بدر الدين بن مالك : " تسميط التقطيع "[٣]، وهو الضرب الأول عنده.

وذكر السيوطى ثانى أقسام التسميط عند بدر الدين بن مالك، فقال : " والثانى : ما كان بعض الأجزاء فيه مخالفا للروى "[٤]، وذكر له صورتين – أيضا– أشار إلى الصورة الأولى بقوله :" ثم منه ما سجعه على المقاطع "[٥]، ومثل لها ببيت مروان بن أبى حفصة السابق : " هم القوم إن قالوا... "

أما الصورة الثانية فأشار إليها بقوله : " ومنه ما ليس كذلك "[٦]، أى أن سجعه ليس على المقاطع، وهذه الصورة اعتبرها السيوطى قسما ثالثا بقوله : " والثالث "[٧]، والحال ليس كذلك، ومثل لها بقول الخنساء :

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهـ ـــدى الطريقـــة نفـــاع وضـــرار[٨]

والصورة الأخيرة هذه ميزها بدر الدين بن مالك باسم : " ما سجعه مدمج"، والصورتان معا يمثلان عنده الضرب الثانى، وهو " تسميط التبعيض"[٩].

---

(١) السابق الصفحة ذاتها.
(٢) السابق الصفحة ذاتها.
(٣) المصباح، بدر الدين بن مالك صـ١٧٠.
(٤) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٨.
(٥) السابق الصفحة ذاتها.
(٦) السابق الصفحة ذاتها.
(٧) السابق الصفحة ذاتها.
(٨) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٨.
(٩) المصباح، بدر الدين بن مالك صـ١٧١.

النوع الثالث : **التجزئة** :

ذكرها كثير من العلماء، قال عنها أسامة بن منقذ : " التجزئة هو أن يكون البيت مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة "[١]، وقال بدر الدين بن مالك : " التجزئة أن تأتى مقاطع أجزاء البيت على سجعين متداخلين، وأولهما مخالف للروى، والثانى على وفقه "[٢].

وسماه ابن قيم الجوزية " التجزئ "، وقال : " وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء "[٣] واقتصر على النماذج القرآنية، بخلاف غيره الذين قصروا نماذجهم على الشعر.

وعرض له أيضا ابن أبى الإصبع وقال : التجزئة : " هو أن الشاعر يجزئ البيت من الشعر جميعه أجزاء عروضية، ويسجعها كلها على رويين مختلفين، جزء بجزء، إلى آخر البيت، الأول من الجزأين على روى مخالف لروى البيت، والثانى على روى البيت.. "[٤] وأشار إلى أن تقسيم البيت يكون " على ثلاثة أجزاء مسجعة إن كان سداسيا، أو أربعة مسجعة إن كان ثمانيا"[٥].

أما ابن حجة الحموى فقد عرف التجزئة بقوله : " هو أن يأتى المتكلم ببيت ويجزئه جميعه أجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزءا بجزء، أحدهما على روى يخالف روى البيت، والثانى على روى البيت"[٦].

(١) البديع فى نقد الشعر، أسامة بن منقذ صـ٦٣.
(٢) المصباح، بدر الدين بن مالك صـ١٧٠.
(٣) الفوائد المشوق، ابن قيم الجوزية صـ٢٣١.
(٤) تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع ٢٩٩/٢.
(٥) السابق ٢٩٩/٢.
(٦) خزانة الأدب، ابن حجة الحموى صـ٥٣١.

وجاء الحموى، فقال : " وهو أن يأتى ببيت ويجزئه جميعه، ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزءا بجزء، أحدهما على روى يخالف روى البيت، والثانى على روى البيت "(١).

وأتى السيوطى أيضا... بتعريف بدر الدين بن مالك، فقال : " وعبارة المصباح أن تأتى مقاطع أجزاء البيت على سجعتين متداخلتين، أولهما : مخالف للروى، والثانى موافق "(٢).

ومثل له بقول صفى الدين الحلى :

ببـــارق خـــذم، في مـــأزق أمـــم أو ســـائق عـــرم، في شـــاهق علـــم

وبقول الآخر :

هنديـــة لحظاتهـــا، خطيـــة خطراتهـــا، داريـــة نفحاتهـــا (٣)

والنموذجان اللذان ذكرهما السيوطى، أولهما مثال لما كان ثمانى التفعيلة، فقسم إلى أربعة أجزاء مسجعة، وثانيهما لما كمان سداسى التفعيلة، وقسم إلى ثلاثة أجزاء مسجعة.

(١) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٨.
(٢) السابق الصفحة ذاتها.
(٣) شرح عقود الجمان، السيوطى صـ٤١٨.

المبحث العاشر
الانسجام

جاء في لسان العرب : سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه وتسجمُه سجما وسجوماً وسجماناً: وهو قطران الدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيراً ، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم أي انصب، والانسجام هو الانصباب(١).

والانسجام من فنون البديع التي درسها كثير من البلاغيين ، ومن أوائل من ذكروا هذا الفن هو "أسامة بن منقذ" ، وعرفه بقوله : "أن يأتي كلام المتكلم شعراً من غير أن يقصد إليه ، وهو يدل على فور الطبع والغريزة"(٢).

و"ابن منقذ" يقصر الانسجام على مجيء الجملة الموزونة أو الشطر أو البيت في الكلام دون قصد من المتكلم أن ينظم شعراً ، ومثل له بقول ابن هرمة لبعض الحجاب:

بالله ربك إن دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقف بالباب

وغير ذلك من الأمثلة(٣).

أما "ابن أبي الإصبع" فقد توسع في تعريف الانسجام ، وقال: "هو أن يأتي الكلام متحدرًا لتحدر الماء المنسجم ، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره ، مع خلوه من البديع الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كمثال أشطار وأنصاف وأبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز "(٤).

فابن أبي الإصبع في هذا التعريف جمع بين الانسجام بمعناه العام وهو: أن ينحدر الكلام تحدر الماء المنسجم ، سهولة سبك وعذوبة لفظ ، وبين ما ذكره "أسامة بن منقذ" بجعل الانسجام مجئ الجملة الموزونة أو الشطر أو البيت في الكلام المنثور.

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (سجم).
(٢) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ص١٣١ .
(٣) السابق صـ١٣٢.
(٤) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٤٢٩/٣.

وعلى هذين المعنيين اللذين جاء بهما "ابن أبي الإصبع" ذهب معظم من جاءوا بعده من العلماء ، فابن حجة الحموي قال في معنى الانسجام: "أن يأتي الكلام لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد بسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، ... وإن كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه، وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت وأشطار بيوت"(١).

وكذلك "السيوطي" فقد نقل تعريف "ابن حجة الحموي" للانسجام فقال: "أن يكون الكلام لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة"(٢).

ونقل "السيوطي" : أيضاً من "الحموي" حديثه عن مجئ الانسجام في النثر بقوله: "وإذا كان الانسجام في النثر فغالباً تكون قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه"(٣).

ونقل "السيوطي" : أيضاً من "الحموي" حديثه عن مجيء الانسجام في النثر بقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾(٤).

وعرض "السيوطي" للانسجام في النثر عدة شواهد ، فقال: "وشواهد ذلك ما وقع في القرآن موزوناً بلا قصد ، فمنه من بحر "الطويل" : ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾(٥) ، ومن "البسيط" : ﴿ فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ ﴾(٦) ومن "الوافر" : ﴿ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٧) ومن "الكامل" : ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(٨) ومن "الهزج" :

(١) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ١٨٩.
(٢) شرح عقود الجمان ، السيوطي، صـ٤١٩.
(٣) السابق ، الصفحة ذاتها.
(٤) الكهف : من الآية ٢٩.
(٥) هود : من الآية ٣٧
(٦) الأحقاف : من الآية ٢٥.
(٧) سورة التوبة الآية ١٤.
(٨) النور : من الآية ٤٦

﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (١) ، ومن "الرجز" : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ (٢) ، ومن "الرمل" : ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾ (٣) ، ومن "السريع" : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ (٤) ، ومن "المنسرح": ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾(٥) ، ومن "الخفيف" : ﴿ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٦) ، ومن "المضارع" : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ (٧) ومن المتقارب: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (٨)

وتأثر "الحموي" و "السيوطي" معاً بابن أبي الإصبع" في تقسيم الانسجام إلى ضربين : ضرب يأتي مع البديع الذي لم يقصد، وضرب آخر لا بديع فيه(٩)، وإلى مثل هذا أشار "ابن حجة الحموي" بقوله : "... فإنهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلا أن يأتي عفواً من غير قصد ، وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع ، فإنهم قرروا أن يكون بعيداً من التصنع ، خالياً من الأنواع البديعية إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد"(١٠).

وذهب السيوطي إلى مثل هذا – أيضاً – حين قال : "وغالباً ما يأتي ذلك إذا لم يقصدوا فيه نوعاً من أنواع البديع يحصل به التكلف ، بل يأتي ذلك ضمناً من غير قصد.."(١١).

---

(١) يوسف : من الآية ٩٣.
(٢) الإنسان : آية ١٤
(٣) سبأ : من الآية ١٣.
(٤) البقرة : من الآية ٢٥٩
(٥) الإنسان : الآية ٢
(٦) النساء : من الآية ٧٨.
(٧) غافر : من الآيتين (٣٢ ، ٣٣)
(٨)القلم الآية ٤٥ ، شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٩.
(٩) ينظر / بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع ، صـ١٦٦ ، ١٦٧.
(١٠) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ١٨٩.
(١١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٩.

وعرض "السيوطي" لفن الانسجام كذلك في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن"(١) و "معترك الأقران"(٢) ، وذكر له تعريفاً لا يخرج عما عرفه به في كتابه "شرح عقود الجمان" ، وكذلك الشواهد في كتبه الثلاثة جاءت متشابهة تماماً ، لا يختلف واحد منهم عن الآخر.

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣ /٢٥٩، ٢٦٠.
(٢) معترك الأقران ، السيوطي ،١ /٢٩٢.

المبحث الحادي عشر

القلب

قال صاحب اللسان : القلب : تحويل الشيء عن وجهه ، قلبه يقلبه قلباً[١].

والقلب فن بديعي عرض له كثير من العلماء ، وذكروه بأسماء عدة، ومن أوائل من أشار إليه "رشيد الدين محمد العمري" المعروف بالوطواط تحت باب "المقلوبات" ، وقال إن هذا الفن من الصناعات الغريبة البديعة التي تتخذ في النظم والنثر ، وتدل على قوة الشاعر أو الكاتب وسلامة طبعه وخاطره[٢].

وذكر أن أنواع المقلوب كثيرة ، واكتفى بذكر أربعة منها ، وسمى النوع الرابع "المقلوب المستوى" ، وحده "بأن نستطيع أن نقرأ جملة منثورة مركبة من بضعة ألفاظ ، أو مصراعاً من الشعر ، أو بيتاً كاملاً منه ، بحيث إذا قلبت الجملة أو المصراع أو البيت كان كل واحد مِن هذه الثلاثة متفق الأصل مع مقلوبه"[٣]. وذكر له نماذج منها قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾[٤]، وقوله تعالى :﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ [٥].

وكذلك "الفخر الرازي" فقد عقد الفصل الرابع بعنوان "القلب" وذكر من بين أنواعه ما سمي بـ"المقلوب المستوى" ، وذلك حين قال : "وأما إن كان القلب في مجموع كلمات بحيث يكون قرابتها من أولها إلى آخرها عين قرابتها من آخرها إلى أولها ... مثل قول الحريري:

آس أرملا إذا عرى ∴ وارع إذا المرء أسا[٦]

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ؛ مادة (قلب)
(٢) حدائق السحر ، رشيد الدين العمري ، صـ١٠٨.
(٣) السابق ، صـ١٠٨ ، ١٠٩
(٤) الأنبياء : من الآية ٣٣ .
(٥) المدثر : من الآية ٣ .
(٦) نهاية الإيجاز ، الفخر الرازي ، صـ٣٣

أما "السكاكي" فقد ذكره باسم "قلب الكل"[١] ، وذكر له نماذج نثرية وشعرية ، وجاء "بدر الدين بن مالك" ، وجعل "القلب" أصنافاً، منها ما أسماه "القلب المستوي" ، وأتى له بنماذج شعرية ونثرية ومن القرآن الكريم[٢] ، وذكره القزويني "باسم "القلب" وأورد له نماذج ، ولكنه لم يعرفه[٣]. وسماه الحريري في مقاماته "ما لا يستحيل بالانعكاس"[٤].

وعقد له "ابن قيم الجوزية" باباً سماه "ما يقرأ من الجهتين" وذكر أن أرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس والتقليب، وهو عندهم على أربعة أنواع ، وجعل النوع الرابع "المقلوب المستوى" وهو أن يقرأ طرداً وعكساً[٥].

وتحدث "الزركشي" عن "القلب" وجعله أقساماً ، واعتبر ما نحن بصدده القسم الرابع وسماه "قلب المستوى" وعرفه بقوله : "وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها ، لا يختلف لفظها ولا معناها"[٦] ، ومثل له بالآيتين اللتين جاء بهما "الوطواط".

وجاء "السيوطي" وذكر لهذا اللون البديعي عنواناً هو "القلب"، وهو في هذا يوافق "القزويني" ، ثم ذكر له اسمين آخرين حين قال: "ويسمى المقلوب المستوى" ، و "ما لا يستحيل بالانعكاس"[٧] ، وهو بهذا يوافق في الاسم الأول "بدر الدين بن مالك "في كتابه "المصباح"، و"الزركشي" في كتابه "البرهان" ، وفي الاسم الثاني يوافق "الحريري" في مقاماته.

(١) مفتاح العلوم ، السكاكي ، صـ٢٢٨.
(٢) المصباح ، بدر الدين بن مالك ، صـ٢٠٢.
(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، القزويني ، ٤ /٨٨.
(٤) أنوار الربيع ، صدر الدين بن معصوم المدني ، ٥ /ـ٢٨٨.
(٥) الفوائد المشوق ، ابن قيم الجوزية ،٢٣٨.
(٦) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ٣ /٢٨٨ – ٢٩٣.
(٧) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٩.

وعرف "السيوطي" "القلب" بقوله : "أن يكون عكس البيت كطرده؛ أي يقرأ بعكس حروفه من الآخر إلى الأول ، كما يقرأ من الأول إلى الآخر ، وغايته يكون رقيقاً منسجماً بلا تكليف"(١).

وفي إطار التمثيل لهذا اللون البديعي أورد "السيوطي" عدة نماذج مختلفة، منها القرآني : كقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ (٣). .

ومنها "من الكلام الذي رق لفظه "أرض خضراء"، وقول قاضي القضاة شرف الدين بن البازي : ومر القاضي الفاضل على العماد الكاتب وهو راكب، فقال له : سر فلا كبا بك الفرس . فأجابه على الفور : دام علا العماد"(٤).

أما الشعر فقد ذكر أن "أحسن ما قيل فيه من النظم قول الأرجاني:

مودته تدوم لكل هول ∴ وهل كل هول مودته تدوم (٥).

وعرض "السيوطي" رأياً للسبكي يقول فيه : قال الشيخ بهاء الدين وبقي نوع آخر يقال له : "قلب الكلمات" كقوله :

عدلوا فما ظلمت لهم دول ∴ سعدوا فما زالت لهم نعم

بذلوا فما شحت لهم شيم ∴ رفعوا فما زلت لهم قدم

فهو دعاء لهم ، وإذا قلبت كلماته صار دعاء عليهم"(٦)، وهو :

نعم لهم زالت فما سعدوا ∴ دول لهم ظلمت فما عدلوا

قدم لهم زلت فما رفعوا ∴ شيم لهم شحت فما بذلوا(٧)

(١)السابق ، الصفحة ذاتها.
(٢) الأنبياء : من الآية ٣٣.
(٣) المدثر : من الآية ٣ . ، شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٩.
(٤) السابق ، صـ٤١٩ ، ٤٢٠.
(٥) السابق صـ ٤٢٠
(٦) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤١٩.
(٧) عروس الأفراح ، بهاء الدين السبكي ، ٣٠٥/٢ ، شرح المرشدي على عقود الجمان ١٨٧/٢، ، ١٨٨.

و "السيوطي" عندما يعرض هذا الرأي ، فهو في الحقيقة يوافق السبكي على التفريق بين نوعين من القلب هما : "قلب الحروف" وهو ما عرضه السيوطي في "شرح عقود الجمان" وأتى له بنماذج من القرآن الكريم والنثر والشعر ، و "قلب الكلمات" وهو ما ذكره "السبكي" في "عروس الأفراح" و "المرشدي" في "شرح عقود الجمان".

وذهب "السيوطي" في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن" و"معترك الأقران" إلى أن "القلب" نوع من أنواع "العكس" الذي هو أحد المحسنات المعنوية حين قال "ومنه – أي من العكس – نوع يسمى "القلب" و "المقلوب المستوى" و "ما لا يستحيل بالانعكاس" ، وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها ، كما تقرأ من أولها إلى آخرها ، كقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾[1]، وقوله تعالى :﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [2] ، ولا ثالث لهما في القرآن" [3].

و"السيوطي" في هذا الرأي قد خلط بين البديع المعنوي والبديع اللفظي، فقد عدّ "القلب" وهو من فنون البديع اللفظي نوعاً من "العكس" وهو من فنون البديع المعنوي[4]، ولم أر غيره من العلماء قد ذكر هذا إلا ابن قيم الجوزية.

(١) الأنبياء : من الآية ٣٣.
(٢) المدثر : من الآية ٣ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٢٧٧- ، ٢٧٨ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣٠٨ ، ٣٠٩.
(٤) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٣٢٣.

المبحث الثاني عشر

لزوم ما لا يلزم

لزوم ما لا يلزم فن بديعي أشار إليه كثير من علماء البلاغة ، وأطلقوا عليه عدداً من الأسماء مثل الإعنات ، والالتزام ، والتضييق ، والتشديد ، إضافة إلى لزوم ما لا يلزم.

وأقدم الأسماء التي أطلقت عليه هو "الإعنات" ، وأول من أطلق عليه ذلك هو "ابن المعتز" حين قال : "ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له قول رافع بن هريم اليربوعي .

فإلا تحاموني تصبكم بعرّة ∴ مفارقتي أو تقبسوا من شراريا

إذا صار لوني كل لون وبدلت ∴ نضارة وجهي مخضباً باصفراريا[1]

وإذا كان اسم "الاعنات" هو الأقدم فإن اسم "لزوم ما لا يلزم" هو الأشهر ، فأطلقه عدد كبير من العلماء على هذا الفن ، مثل "ابن سنان الخفاجي" عند حديثه عن إلزام الشعراء أنفسهم بتوحيد الحرف الذي يقع قبل الروى طلباً للتناسب ، فقال : "ونظم أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان شعره المعروف بلزوم ما لا يلزم على هذه الطريقة ، وكذلك أكثر كلامه المنثور سلك فيه هذا المنهج"[2].

وكذلك "ابن الأثير" ، فقد تحدث عنه بعنوان "لزوم ما لا يلزم" وقال : هو من أشق هذه الصناعة مذهباً ، وأبعدها مسلكاً، وذاك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، فإن اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تتساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها ، وهذا فيه زيادة على

(١) البديع ، ابن المعتز ، صـ٧٤ .
(٢) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي، صـ١٧٩.

ذلك، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً ، وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روى الأبيات الشعرية"(١).

وسماه "ابن أبي الاصبع" "الالتزام" ، وعرفه بقوله : "هو أن يلتزم الناثر في نثره ، أو الشاعر في شعره ، قبل روى البيت من الشعر حرفاً فصاعداً على قدر قدرته ، وبحسب طاقته ، مشروطاً بعدم الكلفة"(٢).

وكذلك "بدر الدين بن مالك" فقد وافق "ابن أبي الإصبع" في تسميته "الالتزام" وعرفه بما هو قريب من تعريفه فقال : "أن يلتزم المتكلم في السجع أو التقفية قبل حروف الروى ما لا يلزمه من مجئ حرف بعينه أو حرفين أو أكثر ، ويحمد منه ما عدم الكلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة"(٣).

أما "شهاب الدين الحلبي" فقد عقد له فصلاً بعنوان "الإعنات" وذكر أنه "يقال له التضييق والتشديد ولزوم ما لا يلزم ، وهو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروى أو حركة مخصوصة"(٤). وكذلك "العلوي" فقد عقد له فصلاً بعنوان "لزوم ما لا يلزم" وذكر أنه "يقال له الإعنات"(٥).

وجاء "السيوطي" فعرض هذا اللون البديعي باسم "لزوم ما لا يلزم" ، وسماه – أيضاً – "الالتزام" ، وعرفه بقوله : "وهو أن يلتزم الناثر أو الشاعر حرفاً قبل الروى"(٦)، وأتى له بعدة نماذج من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: ﴿

(١) المثل السائر ، ابن الأثير ، ١ /٢٨١.
(٢) تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ٥١٧/٣.
(٣) المصباح ، بدر الدين بن مالك ، صـ١٧٦.
(٤) حسن الترسل ، شهاب الدين الحلبي ، صـ٧٧ ، ٧٨.
(٥) الطراز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ج٢ صـ٣٩٧.
(٦)شرح عقود الجمان ، السيوطي، صـ٤٢٠.

فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [3].

واستغل محفوظه من الحديث الشريف ، فعرض عدة نماذج لهذا اللون البديعي ، منها : قوله ﷺ :"من صام ثلاثة أيام من كل شهر ، فذلك صوم الدهر"[4]، رواه بن ماجة ،وقوله : "كل ما أصميت ودع ما أنميت"[5] ، رواه الطبراني عن ابن عباس ، وقوله: "من عفا عند القدرة ، عفا الله عنه يوم العسرة"[6] ، رواه الطبراني عن أبي أمامة ، وقول ابن عمر : "البر شيء هين : وجه طلق ، وكلام لين" [7]، رواه ابن ماجة في مكارم الأخلاق.

أما النظم فذكر السيوطي أن "في الشعر منه شيء كثير، وقد يقع "الالتزام" في أكثر من حرف ؛ كقول أبي العلاء :

كل واشرب الناس على خبرة ∴ فهم يمرون ولا يعذبون
ولا تصدهم إذا حدثوا ∴ فإنني أعهدهم يكذبون
وإن أروك الود عن حاجة ∴ ففي حبال لهم يجذبون[8]

(١) الضحى : الآيتان ٩، ١٠.
(٢) الشرح الآيات من ١– ٤
(٣) التكوير : الآيتان (١٦-١٧)
(٤) سنن ابن ماجة كتاب الصيام ، باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام كل شهر (١٧١١)
(٥) المعجم الكبير ، الطبراني ، مج١٢ ، صـ٢٧ حديث (١٢٣٧٠) ، ورد الحديث بلفظ (قدرة).
(٦) السابق ، مج٨ ، صـ١٢٨ ، حديث (٧٥٨٥)
(٧)شعب الإيمان ، البيهقي ، مج١٠ ، صـ٤٠٤ ، رقم (٧٧٠٢)، ولم نعثر عليه عند ابن ماجة ، ورواية البيهقي (وجه طليق) ، والذي أخرجه (في مكارم الأخلاق) هو الخرائطي صـ٦٤، حديث (١٤٨).
(٨) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٠ ، ٤٢١ .

وعرض السيوطي أيضاً لهذا الفن في كتابيه "الإتقان" و"معترك الأقران" بصيغة واحدة بلا فارق بينهما ، وسماه "الالتزام"، وسماه – أيضاً – "لزوم ما لا يلزم" ، وجعله لوناً بديعياً متعلقاً بالفواصل في القرآن ، وعرفه بقوله : "هو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرف أو حرفان فصاعداً قبل الروى بشرط عدم الكلفة"(١).

والالتزام عند "السيوطي" ثلاثة أنواع: إما التزام حرف مثل قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾(٢) ، التزم الهاء قبل الراء ، ومثله : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ (٣)، التزم فيها الراء قبل الكاف ، ومثله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ ﴾ (٤) ، التزم فيها النون المشددة قبل السين (٥).وإما التزام حرفين مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ (٦) ، ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ ﴾ (٧) ،﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ ﴾ (٨)

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٣١٢، معترك الأقران ، السيوطي ١ /٤٠.
(٢) الضحى : الآيتان ٩، ١٠.
(٣)الشرح الآيات من ١– ٤
(٤)التكوير : الآيتان (١٥-١٦)
(٥) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٣١٢، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٤٠.
(٦)الطور الآيتان (١ ، ٢)
(٧)القلم : الآيتان (٢ ، ٣)
(٨)القيامة : الآيات (٢٦ : ٢٨)

وإما التزام ثلاثة أحرف مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (١)

وموقف معظم البلاغيين من هذا اللون البديعي ، وخاصة عندما أكثر منه المتأخرون ، وبالغوا فيه أنهم لايستسيغونه إذا جاء متكلفاً ، فيقول "ابن سنان الخفاجي" : "وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي ؛ لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه ، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل، وليس بنا حاجة إلى المتكلف المطرح ، وإن ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعباً مر به في نظمه"(٢).

وكذلك " بدر الدين بن مالك" عندما قال في ذيل تعريفه للالتزام : "ويحمد منه ما عدم الكلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة"(٣).

وأيضاً "ابن أبي الإصبع" عندما ذيل تعريفه لهذا الفن البديعي بقوله : "... على قدر قدره ، وبحسب طاقته ، مشروطاً بعدم الكلفة"(٤). وكذلك "الإمام السيوطي" فقد قبل هذا اللون "بشرط عدم الكلفة"(٥).

(١) الأعراف من الآية ٢٠١ : ٢٠٢ ، ينظر / الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣/ ٣١٣، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٤١.

(٢) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، صـ١٨١.

(٣) المصباح ، بدر الدين بن مالك ، صـ١٧٦.

(٤) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، صـ٥١٧.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٣١٢، معترك الأقران ، السيوطي ، ج١ صـ٤٠

المبحث الثالث عشر

التضييق

يقول صاحب اللسان : الضيق : نقيض السعة، ويقال : ضيق عليه الموضع وتضايق القوم إذا لم يتوسعوا في مكان أو خلق[١].

ذكر بعض علماء البلاغة أن التضييق هو الالتزام والإعنات والتشديد ولزوم ما لا يلزم ، وأشاروا إلى أنها مصطلحات لمدلول واحد ، وإن غلب الأخير عليهم جميعا[٢].

إلا أن "أسامة بن منقذ: قد عقد بابا سماه "التضييق والتوسيع والمساواة" وقال : "التضييق هو أن يضيق اللفظ عن المعنى ، لكون المعنى أكثر من اللفظ"[٣]، ومثل له بقول "امرئ القيس"

على سابح يعطيك قبل سؤاله ∴ أفانين غير كز ولا واني

فإن قوله : "أفانين جرى" اختصار معان كثيرة ، وكذلك "غير كز" يحتمل معاني كثيرة، وكذلك "ولا واني" [٤]. وهذا غير الالتزام والإعنات ولزوم ما لا يلزم الذي ذكره الآخرون .

أما "السيوطي" فقد ذكر أن "هذا النوع اخترعته وسميته التضييق"[٥] ، وعرفه بقوله : "بأن يلتزم في الروىّ أمراً لا يلزم"[٦] ، وعلل ترك السابقين لهذا

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة (ضيق)
(٢) ينظر / حسن التوسل ، شهاب الدين الحلبي ، صـ٢٢٠ ، نهاية الأرب ، النويري ، ١١٣/٧، الفوائد المشوق ، ابن قيم
الجوزية ، صـ٢٣٤ ، خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، صـ٤٣٤.
(٣)البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، صـ١٥٥
(٤) السابق ، الصفحة ذاتها.
(٥) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢١.
(٦) السابق ، الصفحة ذاتها.

اللون بأنهم "لم يذكروه لظنهم أن الرويّ يلزم أن يكون على حرف واحد ، فلا يقع فيه التزام ما لا يلزم"(١).

ويبدو من كلام "السيوطي" أن لهذا الفن صورتين ، قال عن الأولى : "وأشرت أنا بما ذكرته إلى أن الروى قد يكون مثلاً على الهاء، فيلتزم أن لا يأتي بها ضميراً ، أو الألف فيلتزم أن لا تأتي بألف إطلاق ، وقد عمل العماد الأصبهاني قصيدة هائية لا ضمير فيها، وادّعى البراعة، وعارضه أبو اليمان الكندى بقصيدة مطلعها:

هل راحم عبرة وتوله ∴ ومجير صب عند ما منه وهي
هيهات يرحم قاتل مقتوله ∴ وسنانه في القلب غير منهنه
من مل من داء الغرام فإنني ∴ مذ حل بي مرض الهوى لم أنته

عارضه البهاء السبكي بقصيدة ، وابن نباته والصلاح الصفدي ، ولى في ذلك قصيدة ذكرتها في طبقات النحاة"(٢). والصورة هنا خاصة بحرف الروى.

أما الصورة الثانية فقد أشار إليها بقوله : "ويلحق بذلك ما إذا التزم أمراً في كل كلمات البيت أو الرسالة، وللصرصري قصائد التزم في كل كلمة منها صاداً، وقصائد التزم في كل كلمة منها عينا. وللحريري رسالة التزم في كل كلمة منها سينا، أولها : باسم القدوس ، استفتح ، وبالسعادة استنجح سجية سيدنا سيفد السلطان، سدها سيدنا لاسفهسلار ، والسيد النفيس سيد الرؤساء ، حرست نفسه ، واستنارت شمسه ، وبسق غرسه ، واتسق أنسه استمالة الجليس مساهمة الأنيس ، ومواساة السحيق والنسيب ، ومساعدة الكسير والسليب ... إلى آخرها"(٣). والصورة هنا خاصة بالكلمات عند التزام أمر مخصوص في كل كلمة من كلمات البيت أو الفقرة.

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢١.
(٢) السابق، الصفحة ذاتها.
(٣) شرح عقود الجمان صـ٤٢١ ، ٤٢٢.

و "التضييق" هنا على عمومه لا يعد فنا جديداً كما قال "السيوطي" إنه من اختراعه ، وإنما هو ملحق بالنوع السابق "لزوم ما لم يلزم" وذلك من باب إلحاق الخاص بالعام، والحالة هذه إذا أطلقنا "التضييق" وجعلناه حرا بلا وصف يقيده، فيكون هنا عاماً، وما يمثله هنا هي الصورة الأولى عند السيوطي ، وفي هذه الحالة ليست التسمية المذكورة من اختراعه.

أما إذا قيدناه بوصف وقلنا "التضييق القوى"[١] ، فهنا يلاحظ الوصف، وبه يخرج من "التضييق" العام الذي تحدث عنه العلماء قبله، ويدخل في التضييق الخاص المقيد بصفة "القوى" ، وهذا يمثل الصورة الثانية عند السيوطي ، وهنا يبدو التجديد والاختراع.

(١) شرح المرشدي على عقود الجمان ، ج٢ صـ١٩٠.

المبحث الرابع عشر

التشريع

جاء في لسان العرب : شرع بابا في طريق أنفذه ، وشرع الباب والدار شروعاً: أفضى إلى الطريق وأشرعه إليه ، والتشريع : مصدر شرّع بالتضعيف(١).

و"التشريع" فن بديعي ، ذكر "السيوطي" أن "الحريري" هو الذي اخترعه ، وأول من أبدعه(٢)، ولكن "بهاء الدين السبكي" لم يرق له هذا الاسم، مؤكدا أن تسميته بالتشريع "عبارة لا يناسب ذكرها ، فإن التشريع قد اشتهر استعماله فيما يتعلق بالشرع المطهر، وكان اللائق اجتنابها" . حتى قال القائل:

ليتهم سموه باسم غير ذا ∴ إنما التشريع دين قيم(٣)

وسماه "ابن الأثير" التوشيح ، وعرفه بقوله : "هو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض، وإذا أضاف إلى ذلك ما بني عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضاً شعراً مستقيماً من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح"(٤).

وأشار إلى أنه يأتي في النثر كما يأتي في الشعر بقوله: "وكذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور، فإن كل فقرة منهما تصاغ من سجعتين"(٥).

وسماه "ابن أبي الإصبع" "التوأم" ، وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فقال : "إنه متى اقتصر على القافية الأولى كان من ضرب ذلك البحر الذي عمل الشاعر بيته منه، فإذا استوفى أجزاءه وبناه على القافية الثانية كان البيت

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة (شرع).
(٢) ينظر / شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٢.
(٣) المطول ، بهاء الدين السبكي ، صـ٤٥٨.
(٤) المثل السائر ، ابن الأثير ، ٢ /٣٥٩.
(٥) السابق ، الصفحة ذاتها.

من ضرب غير ذلك الضرب من ذلك البحر ، وغالبه أن يختلف الرويان ، وإن جاز توافقهما"[١].

وأعجب "السيوطي" بهذا الاسم ، وقال : وهي تسمية مطابقة للمسمى"[٢]، وعرفه بقوله : "أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض ، فإذا أسقط منها جزءاً أو جزئين صار الباقي بيتاً من وزن آخر [٣]

والتوأم عند "السيوطي" له عدة صور أولاها : أن يكون الإسقاط من آخر النصف، الثاني ، كقول الحريري:

يا خاطب الدنيا الدنية إنها ∴ شرك الردى وقرارة الأكدار

دار متى أضحكت في يومها ∴ غدت بعداً لها من دار"[٤]

فالبيتان من قصيدة طويلة من بحر الكامل التام ، وإذا اقتصر الشاعر فيهما على قوله :-

يا خاطب الدنيا الدنية ∴ إنها شرك الردى

دار متى ما أضحكت ∴ في يومها أبكت غدا

صارت من المجزوء الصحيح[٥].

وثانيها: يكون الإسقاط "من آخر كل نصف من البيت ، كقول الصفىّ:

فلو رأيت مصابي بعدما رحلوا ∴ رثيت لي من عذابي يوم بينهم"[٦].

فهذا البيت من بحر البسيط ، وإذا اقتصر منه على قوله:

فلو رأيت مصابى ∴ رثيت لي من عذابي

(١)تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع، ٥٢٢/٤.
(٢)شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤٢٢.
(٣) السابق ، الصفحة ذاتها
(٤) السابق الصفحة ذاتها.
(٥) السابق الصفحة ذاتها.
(٦)شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٢.

لتحول إلى مجزوء المجتث[١].

وثالثها : "أن يبنى على أكثر من قافيتين ، كقوله الحريري:

جودى على المقتدر الصب الجوى ∴ وتعطفي بوصاله وترحمي

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجي ∴ ثم اكشفي عن حاله لا تظلمي

فإنه يصح حذف "وترحمي ، ولا تظلمي" ، وحذف "بوصاله، وعن حاله" ، وحذف "وتعطفي، وثم اكشفي"[٢].

وعرض السيوطي للتشريع – أيضاً – في كتابيه " الإتقان" و "معترك الأقران" ، بصيغة واحدة ، وذكر ما سبق أن عرضه في كتابه " شرح عقود الجمان" ، ولكنه أضاف فيهما "أن قوماً زعموا اختصاصه بالشعر"[٣].

ثم ذكر رأياً آخر فقال : "وقال آخرون بل يكون في النثر بأن يبني على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاماً مفيداً ، وإن ألحقت به السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله زيادة معنى ما زاد في اللفظ"[٤].

وعرض السيوطي رأي "ابن أبي الإصبع" في هذا المنحى الذي يقول فيه : "وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن ، فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون "فبأي آلاء ربهما تكذبان" لكان الكلام تاماً مفيداً ، وقد كمل بالثانية، فأفاد معنى زائداً من التقرير والتوبيخ"[٥].

لكن "السيوطي" وإن وافقه في مجئ "التشريع" في النثر إلا أنه لم يوافقه فيما ضربه من مثال من سورة الرحمن، فقال : "التمثيل غير مطابق ، والأولى

---

(١) شرح الرشدى على عقود الجمان ٢ /١٩١.

(٢) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣/ ٣١٢، معترك الأقران ، السيوطي ، ٤٠/١ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣١٢/٣، معترك الأقران ، السيوطي ، ٤٠/١.

(٥)الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ٣١٢/٣، معترك الأقران ، السيوطي ، ٤٠/١.

بأن يمثل بالآيات التي في أثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة ، كقوله تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾[1] وأشباه ذلك"[2].

و"لسيوطي" غير مقتنع بمجيء "التشريع" في النثر ، ولذلك ينقل رأي الأندلسي الذي يقول فيه " وألحق أن حسنه لا يظهر إلا في النظم ؛ لأن فيه الانتقال من وزن إلى وزن ، بخلاف النثر"[3].

وهناك من العلماء من لا تبش نفوسهم بفن " التشريع" مطلقاً نظماً ونثراً ؛ لأنهم يرون أن في هذا الفن تكلفاً ظاهراً ، ولذلك لا يستعمل إلاّ قليلاً ، وهو كما قال عنه ابن "الأثير" : "ليس من الحسن في شيء"[4] ، ولأجل هذا لم يهش له أصحاب البديعيات ، وقد قال "ابن حجة الحموي" ولا شك في أن هذا النوع لا يأتي إلا بتكلف زائد وتعسف ، فإنه راجع إلى الصناعة لا إلى البلاغة والبراعة"[5].

(١)الطلاق : من الآية ١٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، صـ٣١٢ ، معترك الأقران ، السيوطي ، ٤٠/١.
(٣) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٣.
(٤) المثل السائر ، ابن الأثير ، ٢ /٣٦٠.
(٥) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ١٢٠.

المبحث الخامس عشر
التخيير

التخيير فن بديعي وضعه "ابن أبي الإصبع" ضمن الأبواب التي استنبطها وابتدعها وعرفه بقوله :"هو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ أن يقفي بقواف شتى، فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل ، تدل بتخيرها على حسن اختياره"(١).

ومثل له بقول الحريري:

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ∴ فكيف حال غريب ماله قوت

فإنه يسوغ أن يقول : فكيف حال غريب ماله حال . أي: ماله مال ، ماله نشب ، ماله سبب ، ماله صفد ، ماله سبد ، ماله خطر ، ماله أحد ، ماله وجد ، ماله شيع، وإذا نظرت إلى قوله : "ماله قوت" وجدتها أبلغ من الجميع، وأدل على الفاقة ، وأمس بذكر الحاجة ، وأبين للضرورة ، وأشجن للقلوب، وأدعى للاستعطاف ، فلذلك رجحت على كل ما ذكرناه"(٢).

والتخيير عند "السبكي" هو الفن التسعون من البديع عنده ، عرفه بقوله: "هو ، البيت يأتي على قافية مع كونه يسوغ أن يقفي بقواف كثيرة"، ومثل له بأبيات لديك الجن(٣)، وسبق أن تعرض له في الفن الثاني والخمسين، وعرفه بقوله : "هو إثبات البيت أو الفقرة على روى يصلح لأشياء غيره ، فيتخير له كلمة" ، ومثل له ببيت الحريري السابق(٤).

ولم يخرج "السيوطي" على ما ذكره السابقون، فعرفه بأنه "كون الروى من البيت أو السجعة صالحة لعدة ألفاظ ، فيتخير لها كلمة منها" ، ومثل له

(١) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٥٢٧/٣.
(٢) السابق ، الصفحة ذاتها.
(٣) المطول ، بهاء لدين السبكي ، صـ٣٢٠.
(٤)السابق ، صـ٣١١.

ببيت الحريري السابق ، وقال : "فإنه يصلح محله ماله بيت ، ماله مال ، ماله حال ، ماله سند ، ماله أحد "[١].

والسيوطي لم يشر إلى فن التخييير في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن" و "معترك الأقران" من قريب أو بعيد، وذلك لأنه قصرهما على درس القرآن الكريم ، وبيان إعجازه ، وسر فصاحته، وسمو بلاغته ، مع أنه أشرك النثر مع الشعر في تعريفه لهذا الفن حين قال : "...كون الروى من البيت أو السجعة"[٢] ، واكتفى بنموذج شعري.

وأظن أنه في هذا الأمر قد تأثر بابن أبي الإصبع[٣] ، وابن حجة الحموي[٤] عندما ذكرا نماذج لهذا الفن من القرآن الكريم، ولوكان رافضاً لهذا لرد عليهما مفنداً رأييهما بأن أساس بناء هذا الفن يكمن في إمكانية التغيير في الروى أو السجعة، والقرآن العظيم لا يمكن لأحد أن يغير حرفاً واحداً منه.

وجاء ابن معصوم المدني بعده ، ودافع عن القرآن الكريم ، رافضاً رأي من ذهب إلى إمكانية تطبيق هذا الفن البديعي على فن القرآن الكريم ، فقال : "وذكر ابن حجة في هذا النوع آية من كتاب الله تعالى وعدها منه وهو غير صواب، بل هي نوع من التمكين قطعاً ، إذ مفهوم التخيير أنه يسوغ أن يؤتي في مكان الفاصلة بفاصلة أخرى لولا ما حظر الشرع من ذلك ، وليس كذلك ، فإن القرآن العظيم نزل على أكمل الوجوه لفظاً ومعنا، بحيث لا يمكن أحد أن يغير فيه حرفاً واحداً ، وإن خفى على بعض الضعفاء وجه الحكمة في بعض الألفاظ والفواصل ، وتوهم أنه يمكن تغييرها فهو من غباوته وجهله بمواقع الألفاظ"[٥].

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤٢٣.
(٢) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٣.
(٣) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، صـ٥٢٧ – ٥٢٩.
(٤)خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ ٩٦
(٥) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ج٢ صـ١٤٩.

المبحث السادس عشر
الائتـــــلاف

قال صاحب اللسان : ألفت الشيء وألفت فلانا : إذا أنست به ، وألّفت بينهم تأليفاً : إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وألّفت الشيء تأليفاً: إذا وصلت بعضه ببعض ، وائتلف القوم ائتلافاً ، وائتلف الشيء : ألف بعضه بعضاً(١).

يعد قدامة بن جعفر من أوائل النقاد الذين بنوا منهجهم على "الائتلاف"، وذلك حينما عرف الشعر بقوله : إنه "قول موزون مقفي يدل على معنى"(٢)، أي أنه يتألف من أربعة أركان ، هي : اللفظ والمعنى ، والوزن والتقفية مما أوجب بحسب هذا العدد أن يكون لها ستة أضرب من التأليف(٣). غير أنه قد اكتفى بأربعة منها هي ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية(٤).

وفي إطار منهجية هذا البحث آثرت أن أضع الفنون الثلاثة التي أتى بها السيوطي ، وهي : التمكين "ائتلاف القافية"، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف اللفظ مع الوزن تحت عنوان "الائتلاف"(٥)؛ لأنهم جميعاً يندرجون تحته، ولا يخرجون عن أضرب الائتلاف الذي تولد عن أركان تعريف قدامة للشعر.

أولاً: التمكين "ائتلاف القافية"

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة (ألف)
(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ٦٨.
(٣) السابق صـ٦٩.
(٤) السابق صـ٧٠.
(٥) سبق أن وضع بدر الدين بن مالك هذا العنوان لهذه الأضرب . ينظر : المصباح ، بدر الدين بن مالكم ، صـ٢٤٩.

جاء في لسان : مكُن مكانه فهو مكين ، وتمكن مثل مكُن .وتمكن بالمكان وتمكنه أي ثبت فيه، وتمكن من الشيء واستمكن : ظفر[١].

والتمكين هو "ائتلاف "القافية" ، ذكره قدامة ، وتحدث عنه في إطار ائتلاف القافية مع ما يدل عليه معنى سائر البيت ، وقال : هو "أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مر فيه"[٢].

فقال : "وهو الذي سماه من بعد قدامة التمكين، وهو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته أو الناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي القافية به متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً ، بحيث لو طرحت من البيت اختل معناه واضطرب مفهومه"[٣].

والبلاغيون الذي أتوا بعد "قدامة" سموه "التمكين" مثل :بدر الدين بن مالك[٤]، وابن الأثير الحلبي[٥]، وابن حجة الحموي[٦]، وكذلك جلال الدين السيوطي فذكره باسم "التمكين" وقال : "ويسمى ائتلاف القافية ؛ وهو أن يمهد الناثر للسجعة أو الناظم للقافية ، تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه ، بحيث إن منشد البيت لو سكت كملها السامع بطبعه ، بدلالة ما قبله عليها"[٧].

ومثل له بقول :

(١)لسان العرب، ابن منظور المصري ، مادة (مكن)
(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٦٧.
(٣) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٢٢٤/١.
(٤) المصباح ، بدر الدين بن مالك ، صـ٢٥٥
(٥) جوهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي ، صـ٢٠٠.
(٦) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٤٣٩.
(٧) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٣

يامن يعز علينا أن نفارقهم ∴ وجداننا كل شيء بعدكم عدم[١]

واكتفى "السيوطي" بهذا النموذج الشعري في "شرح عقود الجمان" ، لكنه أتى بنماذج من القرآن الكريم في كتابيه "الإتقان في علوم القرآن" و "معترك الأقران" تحت عنوان "التمكين" ، وعرفه بقوله : "أن يمهد الناثر للقرينة ، أو الشاعر للقافية ؛ تمهيداً تأتي به القافية والقرينة متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها ؛ مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم ، وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه"[٢].

ثم عرض عدداً من النماذج القرآنية ، منها : قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٣] ، فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبر يناسب ما يدركه"[٤].

وكذلك قوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[٥] ؛ فإن في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها"[٦].

---

(١) السابق صـ٤٢٤.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٣٠٢، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣١.
(٣) الأنعام : آية ١٠٣
(٤) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣/ ٣٠٢، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣٢.
(٥) المؤمنون : الآيات ١٢ : ١٤.
(٦) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٣ /٣٠٢، معترك الأقران ، السيوطي ، ١ /٣٢

وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها بها ، قبل أن يسمع آخرها فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبى ، عن زيد بن ثابت قال: أملي علىّ رسول الله ﷺ هذه الآية﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾، إلى قوله : "خلقاً آخر" ، قال معاذ بن جبل : "فتبارك الله أحسن الخالقين" ؛ فضحك رسول الله ﷺ ، فقال له معاذ: مم ضحكت يارسول الله ؟ قال: بها ختمت!" .

ثانياً : ائتلاف المعنى مع الوزن

ائتلاف المعنى مع الوزن فن بديعي ، عرض له قدامة بن جعفر ، وعرفه بأنه : "هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب ولا إلى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك، ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته"(١).

وتبعه البلاغيون الذين جاءوا بعده ، مثل : ابن أبي الإصبع، الذي عقد له باباً سماه "باب ائتلاف المعنى مع الوزن" ، وعرفه بقوله : "هو أن تأتي المعاني في الشعر على صحتها ، لا يضطر الشاعر الوزن إلى قلبها عن وجهها ، ولا خروجها عن صحتها"(٢)، ولم يخرج عن هذا بدر الدين بن مالك(٣) تعريفاً وتمثيلاً.

وجاء جلال الدين السيوطي فسماه "ائتلاف المعنى مع الوزن" تابع في ذلك ابن أبي الإصبع ، وتابعه أيضاً في تعريفه، إذ عرفه بقوله : "هو أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا تضطر في الوزن إلى قلب ولا خروج عن

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٦٦.
(٢) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ،ـ٢٢٢/١.
(٣) المصباح ، بدر الدين بن مالك ، صـ٢٥٥.

الصحة"[١]، وأتي ببيتي عروة بن الورد متابعاً في ذلك ابن أبي الإصبع أيضاً، فقال : كما فعل عروة بن الورد حيث قال:

فإني مذ شهدت أبا سعاد ∴ غداة غدٍ بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسي ومالي ∴ وما آلوه إلا ما أطيق

أراد أن يقول : فديت نفسه بنفسي ، فألجأته ضرورة الوزن إلى القلب"[٢].

ثالثاً : ائتلاف اللفظ مع الوزن

هذا الفن هو أحد أقسام "الائتلاف" ذكره قدامة بن جعفر ، وعرفه بقوله : "هو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت ، لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقصها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه ، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها"[٣].

ولم يخرج من جاء بعده من البلاغيين كابن أبي الإصبع عما قاله "قدامة" ولم يخرج على أمثلته التي جاء بها[٤]، وكذلك بدر الدين بن مالك الذي أوجز في تعريفه ، فقال : "هو أن يأتي الشاعر بالمعنى والوزن من غير حاجة إلى تقديم ، وتأخير يمتنع مثله في السعة"[٥] ومثل له ببيت الفرزدق الذي أتى به من سبقوه.

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٤.
(٢) السابق الصفحة ذاتها.
(٣) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، صـ١٦٥.
(٤) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ٢٢١/١.
(٥) المصباح ، بدر الدين بن مالك ، صـ٢٥٤.

وجاء جلال الدين السيوطي وتابع "قدامة" في تعريفه لائتلاف اللفظ مع الوزن ، وتصرف بإيجازه ، وقال : "قال قدامة: وهو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لا يضطر الشاعر إلى نقصها ، أو لزيادة عليها، أو تقديم ، أو تأخير ، كما وقع للفرزدق في قوله :

وما مثله في الناس إلا مملكا ∴ أبو أمه حي أبوه يقاربه"[1]

فكما هو واضح "أن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك ، فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ، ولو قال : وما مثله إلا مملك أبوه يقارب خاله لسهل مأخذه ، وقرب متناوله ، ومهما كان الشعر سليماً من مثل هذا كان هو الشعر الذي ائتلف لفظه مع وزنه"[2].

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٢٢٤.
(٢) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٢٢٢/١.

المبحث السابع عشر
الطاعة والعصيان

جاء في لسان العرب : طاع يطاع وأطاع : لان وانقاد، وأطاعه إطاعة وانطاع له كذلك ، وقد طاع له يطوع إذا انقاد له ، فإذا مضى لأمره فقد أطاعه، فإذا وافقه فقد : طاوعه ، والطاعة : اسم لمن أطاعه طاعة[١]. والعصيان خلاف الطاعة.

الطاعة والعصيان فن بديعي أجمع معظم البلاغيين على أن أبا العلاء المعري قد اخترعه ، وأنه استنبطه عند نظره في شعر المتنبي من خلال نموذج شعري واحد، ثم توارثوا تعريفه ومثاله الوحيد.

وعقد له "أسامة" بن منقذ بابا يحمل اسم هذا الفن ، استهلكه بالحديث عن منزلته وقيمته فقال : "اعلم أن هذا باب يمتحن به العالم والناقد ، وتعرف به فضيلة الكاتب والشاعر". ثم عرفه بقوله : "هو أن يريد البيت على ما تقتضيه النقد ، فلا يوافقه الوزن ، فيأتي بما لا يخرج عن الصناعة"[٢].

ويروى "ابن منقذ" قول "المعري" في هذا الفن فيقول : "ذكر الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المصري في كتابه المعروف باللامع العزيزي في ديوان شعر المتنبي في قوله:

يرد يداً عن ثوبها وهو قادر ∴ ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

قال : أوجبت عليه الصناعة أن يقول : "يردُّ يداً عن ثوبها وهو مستيقظ" ، فلم يطاوعه الوزن ، فلم يخرج عن الصنعة ، قوة منه وقدرة، فقال: "قادر" وهو عكس "راقد" في الصورة والمعنى ، أما في الصورة فهو من جناس

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة (طوع).
(٢) البديع في نقد لالشعر ، أسامة بن منقذ ، صـ١٧٥.

العكس ، وأما في المعنى فإن الراقد عاجز ، وهو ضد القادر ، فتم له الطباق صورة ومعنى ، وهذا فن الأفراد الأفذاذ"[١].

والبلاغيون الذين أتوا بعده نقلوا هذا التعريف والمثال الوحيد له ، واكتفوا بالنقل دون محاولة في البحث عن نماذج أخرى من خلال رؤية تطبيقية ، فاقتصر الحديث فيه على المستنبط والعنوان والمثال دون أدنى إضافة[٢].

ولم نجد من البلاغيين من لاحظ هذا إلا "ابن أبي الإصبع " فبعد أن نقل التعريف والمثال والتحليل قال : "هذا كلام المعري على هذا البيت وهذا المعنى من البديع ، ولم يأت بشاهد غيره ، وتبعه الناس بعد ، فأثبتوا هذا الباب ، وتكلموا فيه بمثل هذا الكلام، واستشهدوا بهذا البيت ، ولم يأت أحد منهم بغيره ، وأضربوا جميعهم عن النظر فيه ، إما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الأدب ، واعتقادهم فيه العصمة من الخطأ والسهو فيه، وإما أن يكونوا قد مر عليهم ما مرَّ عليه في هذا البيت"[٣].

ولم يخرج "جلال الدين السيوطي" عما قاله سابقوه ، فعرف الطاعة والعصيان بقوله: "وهو أن يقصد الشاعر نوعاً من أنواع البديع فيعصيه الوزن ويطيعه لنوع أخر "[٤].

ثم أتى ببيت أبي الطيب ، وهو النموذج الوحيد الذي ذكره كل من تحدث عن هذا الفن ، وهو:

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ∴ ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد[٥]

(١) البديع في نقد لالشعر ، أسامة بن منقذ ، صـ١٧٥.
(٢) ينظر في ذلك : حسن التوسل، شهاب الدين الحلبي ، صـ ٢٧١ ، جوهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي ، صـ٢٥٠، نهاية
الأرب، النويري ، ٧ ص/١٤٦، خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٤١٨.
(٣) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٢٩٠/٢.
(٤) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٤.
(٥) السابق : الصفحة ذاتها .

ثم أتى بموجز تحليل أبي العلاء لهذا البيت فقال: "قال المعري ، وهو مخترع هذا النوع : أراد أن يقول: "وهو مستيقظ" بحيث يطيعه الطباق مع قوله " وهو راقد فلم يطعه الوزن، وأطاعه لفظة "قادر" ، فحصل بها الجناس المقلوب"(١).

والسيوطي نقل عن غيره الحديث عن "الطاعة والعصيان" ، ولم يلفت انتباهه ما تناقله السابقون، دون أن يعير اهتماماً لتواترهم في نقل نموذج واحد ليس له ثان ، علماً بأن "ابن أبي الإصبع" قد فتح الباب للنظر وإعادة التفكير ، وذلك برفضه أن يكون بيت "المتنبي" المجمع عليه شاهداً.

وفي هذا الإطار يقول : "والذي ذهب عليهم أن البيت ليس فيه شيء أطاع الشاعر ، ولا شيء عصاه ، ودليل ذلك أن قول المعري إن المتنبي أراد "مستيقظاً" ؛ ليحصل منها ومن لفظه " راقد" طباق ، فعصته لفظه "مستيقظ" لامتناعها من الدخول في هذا الوزن ، فيحكم على المتنبي ، لأنه لو أراد أن يكون في بيته طباق فحسب ، كان له أن يقول : يرد يدا عن ثوبها وهو ساهر أو ساهد ، ويحصل له غرضه من الطباق بالجمع بين ساهر وراقد ، ولا يكون عصاه شيء وأطاعه غيره وإنما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس ، فعدل عن لفظة "ساهر وساهد" إلى لفظة "قادر" ... ليحصل بين قادر و "راقد" طباق معنوي، وجناس عكسي"(٢).

وبعد أن عرض تحليله لبيت المتنبي قال : "فقد تبين من هذا البحث أن بيت المتنبي هذا لا يصلح أن يكون شاهداً على هذا الباب، لأنه لم يعصه فيه شيء ولم يطعه غيره"(٣).

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٤.
(٢) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع ، ٢٩١/٢.
(٣) السابق ، صـ٢٩٢.

المبحث الثامن عشر
الحـــــــذف

جاء في لسان العرب : حذف الشيء يحذفه حذفاً : قطعه من طرفه ، وحذف الشيء : إسقاطه(١).

والحذف فن بديعي أشار إليه كثير من العلماء ، قال عنه رشيد الدين العمري ، المعروف بالوطواط : "وتكون هذه الصنعة بأن يطرح الشاعر أو الكاتب حرفاً أو أكثر من حروف المعجم من نثره أو نظمه"(٢).

وقال ابن حجة الحموي عن الحذف : "هذا النوع عبارة عن أن يحذف المتكلم من كلامه حرفاً من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة ، بشرط عدم التكلف والتعسف"(٣).

أما عن مستخرِج هذا الفن ، فقد ذكر ابن معصوم المدني "أن هذا النوع – أعني الحذف – من مستخرجات الإمام أبي المعالي عز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني صاحب معيار النظار"(٤).

وعرض السيوطي لفن الحذف ، وعرفه بقوله : " وهو أن يحذف المتكلم من كلامه حروفاً من حروف الهجاء بلا تكلف ولا تعسف"(٥). وتعريف السيوطي له لا يخرج عن تعريفات من سبقوه .

ولقد أورد السيوطي له عدة صور ذكرها مجملة بطريق الحصر ، فقال: "..... بأن يحذف كل حرف موصول ، ويأتي بالجميع مقطوعة ، أو عكسه ، أو يحذف كل حرف منقوط ويأتي بالجميع مهملة ، أو عكسه ، أو يأتي بكلامه متخالفاً حرف منه موصول وحرف مقطوع ، أو حرف معجم وحرف مهمل ، أو

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة (حذف) .
(٢) حدائق السحر ، رشيد الدين العمري ، صـ١٦٦ .
(٣) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي ، صـ٤٣٩.
(٤) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٦ /١٧٦.
(٥) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٥.

كلمة كل حروفها معجمة ، وكلمة كل حروفها مهملة ، وهكذا ، أو يلتزم حذف حرف واحد كالألف"[١].

وفي إطار التمثيل لهذا النوع ذكر "السيوطي" عدة نماذج ، يمكن توزيعها على صور الحذف أو أقسامه التي ارتآها ، مع محاولة تأطير كل صورة أو قسم منها ، حتى تتضح الرؤية وتتكشف الصورة.

الأول : حذف كل حرف موصول ، والإتيان بالجميع مقطوعة ، مثاله "الذي أورده الرازي في نهاية الإيجاز:

وزر دار زرزور ودار زرارة ∴ ودار رداح إن أردت دواء

وقولى في بديعيتي :

روّض ودم وأرح ردد وود وزر ∴ وازر ووال دؤادا وزد ورم[٢]

الثاني : حذف كل حرف مقطوع ، والإتيان بالجميع موصولة، ومثاله: "قول الحريري :

فتنتني فجننتني تجنّي ∴ بتجن يفتن غب تجني[٣]

الثالث : حذف كل حرف منقوط ، والإتيان بالجميع مهملة ، مثل "قول الحريري : " الحمد لله المحمود الآلاء ، المحمود الأسماء ، الواسع العطاء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السماح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه"[٤].

الرابع : حذف كل حرف مهمل ، والإتيان بالجميع منقوطة ، مثل "قول الحريري:

شغفتني بجفن غضيض ∴ غنج يقتضي تفيض جفني

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٥
(٢) السابق ، الصفحة ذاتها .
(٣) السابق ، الصفحة ذاتها .
(٤) السابق ، الصفحة ذاتها .

غشيتني بزينتين فشفتني ∴ بزيّ يشف بين تثنى [١]

الخامس : أن يأتي الكلام حرفاً موصولاً ، وحرفاً مقطوعاً ، ولم يأت "السيوطي" له بمثال ، وإنما قال : "ومثال الخامس رسالته"[٢].

السادس : أن يأتي الكلام حرفاً معجماً وحرفاً مهملاً ، ومثل له بقول الحريري في رسالته: الرقطاء : "أخلاق سيدنا تحب ، وبعقوته يلب ، وقربه تحف ، ونأيه تلف " ، ومن النظم :

فلا خلا ذا بهجة ∴ يمتد ظل خصبه

فإنه بر بمن ∴ آنس ضوء شهبه

زان مزايا ظرفه ∴ بلبس خوف ربه [٣]

السابع: أن يأتي الكلام كلمة حروفها معجمة ، وأخرى كل حروفها مهملة ، ومثاله :

اسمح فبث السماح زين ∴ ولا تخب آملاً تضيف[٤]

الثامن: حذف أحد الحروف كالألف ، نبه على ذلك الرازي في "نهاية الإيجاز"[٥]، ومثاله : خطبة سيدنا (علي) ﷺ الذي يقول فيها : "حمدته حمد مقر بربوبيته، متخضع لعبوديته ، متنصل من خطيئته ، معترف بتوحيده ، مؤمل من ربه مغفرة تنجيه ، يوم يشغل عن فصيلته وبنية .... إلخ "[٦] .

(١) السابق ، الصفحة ٤٢٥، ٤٢٦.
(٢) شرح عقود الجمان ، السيوطي صـ٤٢٦.
(٣) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٦
(٤) السابق ، الصفحة ذاتها
(٥) ينظر : شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٥.
(٦) أنوار الربيع ، ابن معصوم المدني ، ٦ /١٧٦ ، ١٧٧.

المبحث التاسع عشر

التحري والمنتحل والمنتقي

جاء في لسان العرب : حرى الشيء يحرى حرياً : نقص . والحْرىُ: النقصان بعد الزيادة ، وأحْرِ به : مثل ما أحج به ، ومن أحْرِ به اشتق التحري في الأشياء ونحوها وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال ، والتّحرى : قصد الأولى والأحق ، والتّحرى : القصد والاجتهاد في الطلب(١).

والتحرى والمنتحل والمنتقي أسماء لفن بديعي اخترعه "السيوطي" وعرفه بقوله : "وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الألثغ لا يعاب عليه تحرياً"(٢).

ويتحقق ذلك بصحة معنى الكلام على تقدير اشتماله على ذلك الحرف الذي عدل إليه وعُبَّر به عن الحرف الآخر ، كقول الشاعر :

من شاء جمع معان قد خصصت بها ∴ وجاوزت كل حد لم ينل وطرا

وكيف يسطاع أن تحصى فضائلها ∴ وزندك الفرد مهما تقدحه ورا (٣)

فإنه إذا قرأهما الألثغ الذي يبدل الراء غيناً معجمة فقال (وطغي) بدلاً من (وطرا) و(وغا) بدلاً من (ورا) كان لهما معنى مستقيم ، لا تعارض بينه وبين المعنى الذي يتحقق بوجود الراء.

ولإعجاب السيوطي بهذا الفن أورد بيتين لشاعر يعلن إعجابه بهذا الصنيع ، فقال : وذيل في ذلك :

وذات وجهين أتت بدعة ∴ غايتها في الحسن لا تبلغ

قافية رائية قبل لا ∴ يعاب في إنشاها الألثغ.(٤)

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة (حرى)

(٢) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٦.

(٣) السابق الصفحة ذاتها.

(٤) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٧.

ولإعجابه – أيضاً – صاغ على هذا المنوال ، ويبدو ذلك من قوله : "وقد عملت منه أبياتاً في "الراء" و "السين" ، فمن الأول قولى:

راية العلم لم تزل ∴ تنصب في المحافل

ووهى كل خامل ∴ في فنا الجهل رافل[١]

فإنه إذا أبدلت (راء) راية (غيناً) صار (غاية) ، وإذا أبدلت (راء) رافل (غيناً) أصبحت (غافلا) ، ولم يخرج كل منهما عن المعنى المراد.

وكذلك "قولي" :

من يحز الفضل فأصحابه ∴ ألسنها بذمة سائدة

ومن يصغ نظماً فأعداؤه ∴ للقدح في مقصوده صائرة[٢]

فإنه إذا أبدلت فيه (راء) سائرة وصائرة (غيناً) صار (سائغة) و (صائغة)، فأفاد المعنى المراد.

ثم انتقل إلى (السين) فقال : "ومن الثاني قولي:

وبدر شكا عينيه والضعف فيهما ∴ فأفديه من بدر تحامل عن حسن

أحاشيه من تعليقه بتمائم ∴ وأرقيه بالذكرى من العبث والنفس[٣]

فإذا قرأها من يلثغ بالسين فَتُبْدَل (ثاء) ، صار الحس (حثا) وهو قذا العين ، والنفس (نفثاً) وهو هنا السحر، فأفاد المعنى الذي يريده الشاعر.

(١) شرح عقود الجمان ، السيوطي ، صـ٤٢٧.
(٢) السابق الصفحة ذاتها .
(٣) السابق الصفحة ذاتها

أهم نتائج البحث

بعد أن أعاننا الله جل في علاه على إتمام هذا البحث والوصول به إلى نهايته يمكننا عرض أهم ما توصلنا إليه من نتائج :

* عندما اعتبر السيوطى فن البديع تابعا لعلمى المعانى والبيان، فإنه لم يكن يقصد من وراء ذلك التهوين من شأن البديع، ولكنه ارتأى أنه لما كان الاحتراز عن الخطأ في تأدية الكلام فقد وضع له علم المعانى، وأن تمييز السالم من التعقيد المعنوى من غيره قد وضع له علم البيان، ثم لما احتاجوا لتحسين الكلام وضع علم البديع، وعلى هذا فليس البديع إلاّ تابعاً لهما وملحقا بهما [١].

* إن السيوطى لم يلتزم ترتيب " التلخيص " في نظمه لأنواع البديع، بل نراه يقدم ويؤخر ويضيف لبعض الأنواع زيادة من عنده، وهو يصرح بذلك، مثل ما جاء في " الجناس "، فقد زاد على ما في التلخيص : " جناس التصحيف " و" الجناس المشوس"[٢]. وفى " السجع " زاد عليه " سجع التسميط " و" سجع التجزئة " [٣]، وذلك لمناسبة يراها، وهو يشير إلى ذلك في موضعه.

* لم يكتف السيوطى بنظم ما جاء في " التلخيص " من أنواع البديع، بل أضاف إليها أحد عشر نوعا ممن سبقوه، هى : التسبيغ، والتطريز، والتعديد، والتنسيق، والفرائد والتنكيت، والانسجام، والتخيير، والائتلاف، والطاعة، والعصيان، والحذف، إضافة إلى أنه قد اخترع نوعين هما : التضييق، والمتحرى، والمنتحل والمنتقى، وقد أشار إلى ذلك في كتابه [٤].

---

(١) ينظر : شرح عقود الجمان، السيوطى " مقدمة الكتاب " صـ٥٤.
(٢) السابق، صـ٣٩٨، ٤٠٦.
(٣) السابق، صـ٤١٧، ٤١٨.
(٤) السابق، صـ٤٢١، ٤٢٦.

* اعتمد السيوطى كثيرا على الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، وذلك على غير ما نجده في كتب البلاغة الأخرى، لدرجة أنه اعتبر الاستشهاد بالحديث النبوى من أسس بناء منهجه في كتابه، فنراه يقول في بداية حديثه عن علم البديع : " وقد التزمت أن آتى في كل نوع بمثال فأكثر من الحديث النبوى تمرينا وتشريفا وتيمنا به "(١).

* اعتمد السيوطى في الاستشهاد بالشعر على التنويع، فلم يترك عصراً إلا استشهد بشعره، فأتى بشواهد منذ العصر الجاهلى وحتى عصره الذي أتى منه بشواهد من أشعاره، وذلك ليؤكد على أن البلاغة العربية ليست كغيرها من العلوم، فهى تتميز بالانفتاح على كل العصور في اختيار شواهدها الشعرية.

* استعان السيوطى فى درسه البلاغى بمصادر كثيرة أشار إليها صراحة، مثل : الإيضاح والتلخيص للقزوينى، والصناعتين للعسكرى، والمثل السائر لابن الأثير والمصباح لبدر الدين بن مالك، وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع، ومفتاح العلوم للسكاكى، وخزانة الأدب لابن حجة الحموى، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر... وغير ذلك كثير.

* لم يكن السيوطى في عرضه لأنواع البديع اللفظى ناقلا من غيره أو جامعاً فقط بل كانت له آراؤه، وتقسيماته، ونماذجه، وعرض الآراء، والموازنة بينها، والتعليل عند الترجيح، ويعتمد كثيرا على تأصيل رؤيته من خلال عرض آراء السابقين. فهو بحق عالم من علماء البلاغة في القرن التاسع الهجرى، له تأثيره في معاصريه وفيمن جاء بعده.

والله نسأله العون والسداد

(١) شرح عقود الجمان السيوطي.

أهم المصادر والمراجع

* الإتقان في علوم القرآن، السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية " بيروت " طبعة " ٢٠٠٣م ".
* أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، إصدار سنة "٢٠٠٠م ".
* إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلانى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف "القاهرة"
* الأغانى، لأبى الفرج الأصفهانى، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوى، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب " ١٩٧٣" مصر .
* أنوار الربيع في أنواع البديع،ابن معصوم المدنى، تحقيق شاكر هادى شكر، مطبعة النعمان " النجف " الطبعة الأولى " ١٩٦٨م ".
* الإيضاح في علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع، الخطيب القزوينى، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية " بيروت "،الطبعة الأولى " ٢٠٠٢م".
* البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث " القاهرة ".
* البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق د. أحمد بدوى، د. حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.
* بديع القرآن، ابن أبى الأصبع المصرى، تقديم وتحقيق د. حفنى محمد شرف نهضة مصر " بدون ".
* بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن إياس، تحقيق محمد مصطفى، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة " مصر " .
* بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينى، شرح عبد المتعال الصعيدى، مكتبة الآداب " القاهرة " ١٩٩٩م.
* البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الشركة الدولية للطباعة.
* التبيان في البيان، شرف الدين الطيبى، تحقيق الدكتور توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، الكويت، طبعة " ١٩٨٦م ".
* التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، عبد الواحد الزملكانى، تحقيق د. أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثى، مطبعة العانى، بغداد، طبعة " ١٩٦٤م ".
* تحرير التحبير، ابن أبى الإصبع المصرى، تقديم وتحقيق د. حفنى محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية " القاهرة " طبعة "٢٠١٢م".

* التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزوينى، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقى دار الكتاب العربى " بيروت " الطبعة الأولى .
* جوهر الكنز، تلخيص البراعة في أدوات ذوى البراعة، نجم الدين أحمد بن الأثير الحلبى، تحقيق د.محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، طبعة " ٢٠٠٩م"
* حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين محمد العمرى " الوطواط "، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى، تقديم أحمد الخولى، المركز القومى للترجمة، الطبعة الثانية "٢٠٠٩م " .
* حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى " ١٩٦٧ ".
* خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموى، المطبعة العامرة " مصر " طبعة ١٢٩١هـ.
* سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى، دار الكتب العلمية " بيروت "، الطبعة الأولى "١٩٨٢ م" .
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد " شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحى بن محمد العسكرى "، تحقيق محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير " دمشق "، الطبعة الأولى " ١٩٩٣م ".
* شرح عقود الجمان في علمى المعانى والبيان، جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد عثمان نشر.
* شرح عقود الجمان في المعانى والبيان، جلال الدين السيوطى، تحقيق د. إبراهيم محمد الحمدانى،د. أمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية " لبنان "، طبعة " ٢٠١١م".
* شرح المرشدى على عقود الجمان في علم المعانى والبيان السيوطى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر، طبعة " ١٣٤٨هـ ".
* الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر.
* صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيرى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى.
* الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى، مطبعة محمد على صبيح، الطبعة الثانية " القاهرة ".
* علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت " لبنان ".
* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية " ١٩٥٥م ".

* الفردوس بمأثور الخطاب، لأبى شجاع شيرويه بن شهر دار الديلمى الهمذانى، تحقيق السعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية " بيروت "، طبعة " ١٩٨٦م".
* فن الجناس، على الجارم، دار الفكر العربى " القاهرة ".
* فهرس الفهارس والأثبات والمعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى، اعتناء د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى بيروت.
* قانون البلاغة، محمد بن حيدر البغدادى، " مطبوع ضمن رسائل البلغاء "، مطبعة محمد على صبيح " القاهرة " الطبعة الرابعة " ١٩٥٤م ".
* كتاب البديع،عبد الله بن المعتز،نشر إغناطيوس كراتشقو فسكى،دار المسيرة "بيروت"
* كتاب التحدث بنعمة الله، جلال الدين السيوطى،تحقيق : اليزابث مارى سارتين، المطبعة العربية الحديثة " القاهرة ".
* كتاب جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين الصفدى، مطبعة الجوائب "قسطنطينية "، الطبعة الأولى " ١٢٩٩هـ ".
* كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبى، المطبعة الوهبية بمصر طبعة " ١٢٩٨هـ ".
* كتاب الطراز، يحيى بن حمزة العلوى، تقديم د. إبراهيم الخولى، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة " القاهرة ".
* كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكى، تحقيق د: عبد الحميد هنداوى، المكتبة العصرية " بيروت "، الطبعة الأولى " ٢٠٠٣م ".
* كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى "١٣٢٧هـ " .
* كتاب مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكى، المطبعة الأدبية " مصر "، الطبعة الأولى.
* الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزى، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت " لبنان " الطبعة الأولى "١٩٩٧م"
* لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتحقيق وتعليق د. أحمد الخولى، د. بدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر " الفجالة – القاهرة ".

* المصباح في المعانى والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك،تحقيق وشرح د. حسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب " القاهرة ".
* معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطى، ضبط وتصحيح وفهرسة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية " بيروت "، الطبعة الأولى " ١٩٨٨م ".
* المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد البرانى، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن الحسينى، دار الحرمين " القاهرة " طبعة " ١٤١٥هـ ".
* المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى، تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى، مطبعة العلوم والحكم " الموصل " طبعة " ١٩٨٣م ".
* مقامات جلال الدين السيوطى، تحقيق د. محمد سمير الدروبى، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة " مصر ".
* نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوى، تحقيق الدكتورة : نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
* نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى، دار الكتب العلمية " بيروت ".
* نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين بن أحمد النويرى، تحقيق د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية " بيروت "، الطبعة الأولى " ٢٠٠٤م ".
* نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر طبعة سنة " ١٣١٧هـ ".
* النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العيدروس، تحقيق د. أحمد حالو وآخرين، دار صادر " بيروت "، الطبعة الأولى " ٢٠٠١م ".
* الوافى في العروض والقوافى، الخطيب التبريزى،تحقيق د. فخر الدين قباوة وعمر يحيى، طبعة المجمع العلمى " دمشق "، طبعة " ١٩٧٥م ".
* الوساطة بين المتنبى وخصومه، القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، وعلى محمد البجاوى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٩٦٦م.
* يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى،تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية " بيروت " طبعة " ١٩٧٩م ".